وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

جـواهـر المعـاني
فـي
بعـض رسائـل الشيـخ المـدانـي

الإهـداء

بـسم الله الرَحمـن الرَحيـم

إلى روح سيد الوجود صلَى الله عليه وسلَم وإلى كلّ من سار
على طريقته المُثلى وشريعته الطاهرة إلى يوم يبعثون

حقوق الطبع محفوظة
لابن المـؤلف
محمـد المنوَر المـدني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الـفهــرس

العــنوان	الصفحة
الرسالة الاولى : شرح الحديث : نية المؤمن خير من عمله	9
الرسالة الثانية : شرح الحديث : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسُو قلوبُكم	27
الرسالة الثالثة : شرح الحديث : من عشق فعفَ فكتم فمات مات شهيدا	37
الرسالة الرابعة : تفسير الآية : [وأيُوب إذ نَادَى رَبَّهُ أنِّي مسَّنِي الضُرُّ وأنْتَ أرْحَمُ الرَّاحمين]	43
الرسالة الخامسة : رسالة من أحوج الناس لصحبة شيخ التربية	50
الرسالة السادسة : رسالة عرش الكلَبات	55
الرسالة السابعة : رسالة عرش سيدي النَاصر	59
الرسالة الثامنة : رسالة بنزرت	64
الرسالة التاسعة : رسالة صفاقس	68
الرسالة العاشرة : رسالة صفاقس	70

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرّحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المظهر الأتم ، والنور الأكمل الأعم

المقـــدّمـــة

الحمد لله الذي أنعم على أوليائه الصالحين بمعارف اليقين ، وأمدّهم من فيوضاته وجعلهم من المقربين ، وهداهم إلى سبيل الرّشاد . ونفع بهم العباد والبلاد ، أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له عظيم لا يعرف عظمته إلا هو ، حقيق بالعبادة في الآصال والغدو ، وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا محمدا رسول الله أكرمه الله بما لم يكرم به أحدًا من خلقه ، وفضله تفضيلا وحثه على قيام الليل ، فقال له قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أو انقُصْ منْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلًا ، وجعله الله مظهر الرأفة والرحمة في عالم الازل إلى بعد اليوم الذي تكون فيه الجبال كثيبا مهيلا ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وَعِتْرَتِهِ ومن سار على طريقته وامتثل لقول الحق ومن أصدق من الله قيلا .

وبعد : فإني أحمد الله وأثني عليه على ممَرّ الدُّهور والأعوام ، وأشكره والشكر كفيل بالزيادة والإنعام ، على أن وفقني الله جلَّ جلاله لإبراز شيئًا مما أبقاه مخطوطا والدي المنعم العارف بالله الشيخ سيدي محمد المداني شيخ الطريقة المدنية العلاوية الشاذلية بقصيبة المديوني ، قدَّس الله روحَهُ ، ونوَّرَ ضريحه ، من بعض الرَّسائل والشروح لآيات قرآنية وأحاديث نبويّة ، ينتفع بها من كتب الله له أن يستفيد ويفيد ، ويدعّم عمَله بالقول السديد . فجمعت في هذا الكتاب اللطيف عشرة رسائل تناولت مسائل مختلفة ، يرتاح لها الفؤاد ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويتخذها سراجا يسير بها في الجبال والوهاد ، واخترت له من الاسماء :

« جواهر المَعَاني في بعض رسائل الشيخ المداني »

راجيا من الله الكريم أن ينفع به كل من نظر إليه بعين الإعتبار ، بجاه سيدنا محمد النبيء المختار ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما أظلم الليل وأضاء النّهار .

والسـلام
ابن المـؤلف
محمد المنوّر المـداني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

« الرّسالة الأولى »

1 - بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد : فمن كاتبه العبد الضعيف محمّد المدني القصيبي المديوني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه إلى أخينا الجليل وصديقنا النبيل الشيخ سيدي علي بن قاسم سويسي الثري ثبتنا الله وإياكم على دينه القويم وصراطه المستقيم . السّلام عليكم ورحمة الله والبركة . (1)

هذا أيها الأخ الكريم وقد تشرفت برسالتكم المباركة ، فتناولتها بيد الرغبة ، وطالعتها ببصر المحبة ، فإذا هي عنوان على عافيتكم البدنية ، وسلامتكم القلبية ، فحمدنا الله لكم على ما أنتم عليه وسألناه لنا ولكم دوام هاته النعمة ظاهرة وباطنة إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

---

(1) اسْمَعُهُ وهو يتحديث عن نفسه قبل وفاته (أي انتقل يوم الجمعة 26 نوفمبر 1982 ودُفن في نفس اليوم اثر صلاة الجمعة بمدينة جمّال من ولاية المنستير) ويقول : أنا علي بن قاسم بن محمد قاسم سويسي الثري من قرية تدعى الثريات من ولاية سوسة ومعتمديتها ـ تونس ـ ولدت سنة 1910 م وشببت من أبوين أُمّيّيْن ، عرفت من بعد ذلك كيف ربّياني مع سبعة إخوة وست بنات ، عشنا بالله وبهما في كنف العفاف . أدخلني أبي - فسح الله مسكنه - كتّاب القرية ابتداءً من سنة 1914 م فجمعت القرآن جمعا غير متقن وتخلّى مؤدبي عن التعليم إلى الإشهاد العام وزُجَّ بأخويَّ الكبيرين عبد الحميد وبشير في معكسر الحماية فانقطعت عن الكتّاب للفلاحة على صغر سني بحكم الضرورة الملحة ودموع أبي تنهمر ، فلم يطق انقطاعي ، ودفع بي إلى سيّدي محمد الحَرَابي المؤدب بالوردانين ، إذ في عام واحدٍ حفظت القرآن كلّهُ على ظهر قلب ، ومازلت كذلك ، وحفظت متن ابن آجروم والمرشد المعين ونصف ألفية ابن مالك ، وتعلمت مبادىء النحو على سيدي فرحات . ثم انتقل بي أبي إلى مدينة سوسة فوجدت بها شيوخا مازالوا يحفظون علمهم في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من تمام الفائدة في رسالتكم الكريمة أن كانت تحمل سؤالا مفيدا ، وقولا سديدا صورته بلفظه : « ثم إني أسترشدكم عن قوله عليه الصلاة والسّلام = نية المرء خير من عمله : هل ما يفهم من الحديث من المعنى-هو ما يعطيه منطوق اللفظ جريا مع صيغة أفعل التفضيل ، أم هو على ضرب من المبالغة في الحث على إضمار النية الحسنة حتى تكون يقال فيها إنها أحسن من عمله ؟ أم لا يفهم الفضل من اللفظ أصلا ؟ أي يكون الفضل الذي يستفاد من الصيغة مسلوبا . أم كيف الواقع الذي يقصد من معنى الحديث ؟ رجائي منكم أن تكونوا ببال من سؤالي أي إلى الرَّدّ عليه . أجمل لكم رب العزة اللقاء ، وبشركم بخير هناء .

=صدورهم ، فأخذت في دراسة السنة الأولى بالجامع الكبير بطريقة رسمية وأوفر ما حصلته أن جمعت التلاوة المباركة للقرآن بالروايات السبع على يد شيخي الذي يملأ حبّه قلبي سيّدي بوراوي ابن الفقيه ، ثم كبر الغرام فارتحلت إلى تونس حيث الجامع الاعظم المعمور ، وهناك وجدت بحور العلم تتدفق فشربت منها ما شاء الله إلى أن تحصلت على شهادة التطويع في القراءات سنة 1929 م وشهادة التحصيل في العلوم سنة 1934 م . وقد يسّر الله ذلك رغم وفاة والدي سنة 1927 م فاتخذ ربّا لا يموت . عند هذا الحد وقع تعرُّفي على طائفة من عباد الله لها علوم أخرى غير ما درست فانتميت إليها وتعرفت على قائدها قطب دائرتها الولي الصالح الشيخ سيدي محمّد المدني ، ثبتني الله على حبّه ورزقني الادب معه فوجدت لبّ العِلم وقلب الحقيقة فجالسته واستمعت إليه وباحثته وناقشته مرّة أجمل من ذلك وأخرى أرجع إلى إعمال العقل حتى كان ينتهي بي الحال إلى بكاء طويل من أجل حب عميق وتعلقت بأخلاقه وعلمه وعرفت معنى العلماء ورثة الانبياء فعكفت ومازلت أعكف على التوسل به كلما حزَ بي طلبٌ النجدة ، ومن خلقه أني أحسب نفسي أول المحبوبين لديه ولعلي أكون غالِطا في هذا الحساب ولكني أرجو أن أكون برعايته وهو في دارٍ كُلُّه فِيها يقظة وإن الدار الأخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ، أما ثمرة الجامع الاعظم فقد اشتغلت بالإقراء لفن التجويد ثلاثة أعوام بالجامع الحفصي بالقصبة بتونس وفي آخر سنة 1937 انتقلت إلى جمّال فاشتغلت بالتعليم بها بمدرسة الهداية القرآنية 37 سنة وحصلت ثروة من تلاميذها كلهم يغمروني وأغمرهم حبًا واحتراما وعطفا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا سؤالكم أيها الأخ الكريم . وما حملكم عليه إلا حسن ظنكم بنا . رزقنا الله وإياكم حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وإلا فما هذا العبد من أهل هذا الشأن ولا من فرسان ذلك الميدان ، غير أني نزولا تحت إرادتكم الصادقة ووقوفا مع ظنكم الجميل أكتب لكم ما ألهمنيه الله من العلم ورزقنيه من الفهم بإيجاز واختصار ، والناقص في عين الرضا جميل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، فإن رضيكم ما كتبناه ، فما هو إلا نعمة من الله ، وإلا فالحديث له رجال ، وهم المرجع في هذا الأمر والمآل ، وما نحن بالنسبة إليهم إلّا ولدان وأطفال مبينا قبل المقصود رواية هذا الحديث فنقول :

« رواية الحديث »

إن هذا الحديث المسؤول عنه (2) « نية المؤمن خير من عمله » ، رواه البيهقي في شعب الإيمان حسبما نقله العلامة السيوطي في كتابه الجامع الصغير . ووضع بعد نقله حرف « ض » الذي هو علامة عنده على الحديث الضعيف، ونقله حجة الإسلام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقال فيه زين الدين العراقي في كتابه : المغني عن الاسفار ، في تخريج ما في كتاب الإحياء من الأخبار ما نصه « حديث نية المؤمن خير من عمله

وإكبارا وفي سنة 1975 م تخليت تلقانيا عن التعليم وأخذت في مباشرة الإشهاد العام : العدالة ....

.... لحد كتابة هاته الكلمات وأرجو من الله أن يزهدني فيما بأيدي الناس وأن يغرس في ما عند الله خيرا وأبقى . والسلام .

(2) هذا الحديث نية المؤمن خير من عمله وإن كان ضعيف الإسناد غير أن له شواهد تؤيد معناه وتقويه . وكلها يفهم منها أن النية أبلغ من العمل ، ويكفي من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الاعمال بالنيات » ، فإذا كان لا عمل إلا بالنية ولا خير في عمل لا نية فيه ظهر أن النية خير من العمل ، ولاجل كون هذا الحديث له شواهد تقوي معناه اعتنى كثير من العلماء بشرحه وبيان معناه وإنا إن شاء الله على آثارهم مهتدون . اهـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان وكلاهما ضعيف اهـ » ونقله العلامة المناوي في كتابه كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق ، غير أنه لم يضع بعد نقل الحديث شيئا مع أنه موافق للسيوطي في اصطلاحه . فالحديث على كل حال ليس موضوعا كما زعمه بعضم . نصَّ على ذلك العلامة الشبرخيتي في شرحه على الأربعين النووية عند الكلام على حديث إنما الأعمال بالنيات . ويكفي دليلا على عدم وضعه أن السيوطي والعراقي لم ينصَّا إلا على ضعفه . ولا تخفى مكانة السيوطي والعراقي في الحديث . وبسبب كون هذا الحديث ضعيفا لم يروه الشيخان في صحيحيهما .

ثم أقول إني رأيتكم كتبتم هذا الحديث في سؤالكم بلفظ « نية المرء خير من عمله » بإبدال لفظ المؤمن بلفظ المرء ، فلم أدر هل اطلعتم على رواية في الحديث بهذا اللفظ أم أردتم نقل الحديث بالمعنى ؟ فإني ما اطلعت إلّا على إثبات لفظ المؤمن . ورأيت العلامة البشرخيتي نقل رواية أخرى في الحديث ونصها : « نية المؤمن أبلغ من عمله » ونقل رواية أخرى بزيادة « وإن الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله » غير أن العلامة السيوطي بعد أن نقل الحديث بالرواية المتقدمة نقل رواية أخرى مفصلة أكثر من الأولى وهذا نصها كما في الجامع الصغير : « نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملا ثار في قلبه نور » (3) ؛ هاته روايات الحديث التي

---

(3) في هاته الرواية مقابلة عمل المنافق بنية المؤمن ، وذلك يقتضي أن نية المؤمن خير من عمله نفسه ، وفي ثوران النور في قلب المؤمن إذا عمل عملا ما يقتضي زيادة الإيمان بزيادة الطاعة ، فما ثوران النور في قلب المؤمن إلا زيادة إيمان فيه .

والنية لها أحكام سبعة وهي : الحقيقة لغة وشرعا وهما المذكوران في الأصل . والحكم وهو الوجوب ، والمحل وهو القلب ، والزمان وهو أول العبادة ، والكيفية وهي تختلف باختلاف المنوي ، والشرط هو إسلام الناوي وتمييزه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

اطلعت عليها والله ولي التوفيق . ولنرجع الآن للكلام على معناه فنقول :

« هل المراد بالحديث الخبر أو الإنشاء ؟ »

إن هذا الحديث « نية المؤمن خير من عمله » لفظه لفظ خبر وليس فيه من صيغ الإنشاء شيء غير أنه ربّما يسأل سائل فيقول : هل المراد بالحديث المعنى الخبري حسبما يقتضيه لفظه فيكون إخبارا من النبيء صلّى الله عليه وسلّم أن نية المؤمن أفضل من عمله ويكون اللفظ مستعملا في حقيقته ؟ أم المراد به معنى إنشائي تقديره : اجعلوا نيتكم خيرا من عملكم . فيكون اللفظ مستعملا في مجازه ؟ بمعنى أنّ الشارع كلفنا أن نجعل نيتنا خيرا من عملنا ؟ هذا السؤل يحتمل أن يوجهه سائل .

الجواب : إن هذا الحديث معناه الخبر وليس مقصودا به الإنشاء أصلا . أولا؛لأن لفظه خبر واستعماله في حقيقته أولى من استعماله في مجازه إلا لقرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي . وثانيا؛إن جميع العلماء الذين شرحوا هذا الحديث كالغزالي لم يشرحوا إلا معناه الخبري حسبما يأتي وما أصح علم من تقدم . وكل خير في اتباع من سلف . وثالثا : إن حمله على الإنشاء يقتضي أن الشارع كلفنا أن نجعل نيتنا أفضل من عملنا ، وهذا ما رأيت من قال به ، نعم كلفنا الشارع أن نحسن النية حتى نكون مخلصين ممتثلين لقوله تعالى « فَاعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » . وأمرنا أن نحسن العمل فنحضر فيه مع الله عزّ وجلّ ، فنكون من المحسنين ممتثلين قوله

وتحقيق الوجوب أو ظنه وأن يكون المنوي من مكتسبات الناوي . والمقصود من النية وهو تمييز العبادة عن العادة وتمييز رتب العبادة بعضها عن بعض كالغسل فإنه يكون للجنابة وهو واجب وللجمعة وهو سنة وللعيدين وهو مستحب . وقد جمع بعضهم هاته الأحكام السبعة في قوله :

سبع شرائط أتت في نية تكفي لمن حاولها بلا وسن
حقيقة حكم محل وزمن كيفية شرط ومقصود حسن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صلّى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وإذا تبيّن أن الحديث نصّ في معناه الخبري لزم أن نشرع في شرحه على سبيل الإجمال وإنّ شرحه سادتنا الاقدمون بما لا مزيد عليه . وفي إحياء علوم الدين للغزالي ما يكفي ويشفي ، غير أني أعتقد أن سر الله في التعبير وقد يُهتدى بالصغير كما يُهتدى بالكبير لذلك نقول :

« معنى الحديث »

النّيّةُ : لها معْنيان : معنى في اللغة ومعنى في الإصطلاح الشرعي . أما معناها لغة فهي القصد وترادفها الإرادة . فالنية والقصد والإرادة ألفاظ موضوعة لمعنى واحد . وأما معناها شرعا فهي الإرادة نحو الفعل ابتغاء مرضات الله وامتثال حكمه .

هذا وقد تعظم النية وتكمل فتنتهي في الإخلاص لله عزّ وجلّ فتكون هي روح العمل والعمل جسدها . وقد أمرنا الله تعالى بالإخلاص فقال : « فَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ » .

ثم نقول : نقل العلامة الشبرخيتي سببين لورود هذا الحديث غير أنه نقلهما بصيغة التضعيف التي هي قيل ويقال . السبب الأول : قد قيل ان النبيء صلّى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر ، فنوى عثمان حفرها فسبق إليها كافر فحفرها ،فقال صلّى الله عليه وسلّم نية المؤمن يعني عثمان خير من عمله يعني الكافر وهذا السبب بعينه ذكره العلامة الفشني كما ذكره العلامة الشبرخيتي أعني بصيغة التضعيف . السبب الثاني : أن رجلا من الصحابة نوى بناء قنطرة في موضع مهم فسبقه يهودي لبنائها فأخبر بذلك بحضرة جماعة منهم عمر فتأسف ذلك الرجل وافتعل فقال عمر تسلية له : نية المؤمن خير من عمله أي من عمل ذلك اليهودي . ثم قال الشبرخيتي لكن يخدشه ما ذكر أبو زرعة في البستان من أن هذا القول صادر عن صدر النبوءة صلّى الله عليه وسلم . قلت يحتمل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن سبب ورود الحديث عن صدر الشريعة ما ذكر في السبب الأول ثم استدل به عمر في الواقعة الثانية والله أعلم . وعلى ما ذكر من السبب يكون الضمير في قوله عمله عائد على الكافر المفهوم من سياق الواقعة لا على المؤمن المذكور في الحديث . وعلى هذا التقدير يكون معنى الحديث : نية المؤمن الصالحة خير من عمل الكافر الصالح لأن المؤمن إذا همَ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فيجازيه الله عليها في دار البقاء جزاءا لا يفنى ولا يبيد ، وقد يزيده الله على ذلك أجرا في الدنيا حسبما يقتضيه الفيض الإلهي، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾. والمعتبر إنما هو الجزاء الاخروي وأما الكافر فغاية عمله الصالح أن يجازى عليه في دار الفناء ولا جزاء له في الآخرة إلا النار ثم مأواه جهنَم وبئس المهاد . وقد سأل ابنٌ عباس عمرُ بن الخطاب رضي الله عنهما عن رجل لم يترك من الخير شيئا إلا عمله لكنه كافر فقال هو في النار ، فنِيَة المؤمن حينئذ خير من عمل الكافر . وأما إذا رجَعنا الضمير في قوله « عمله » إلى المؤمن حسبما تقتضيه بقية الروايات وحسبما يقتضيه كلام جمهور شرّاح هذا الحديث كما يستفاد ذلك من اختلافهم في معناه فإنهم وإن اختلفوا في توجيه معنى الحديث لكنهم اتفقوا على رجوع الضمير في قوله « عمله » إلى المؤمن فعليه يكون معنى الحديث نية المؤمن بلا عمل خير من عمله بلا نية ، فعلى هذا التقدير إن المؤمن إذا نوى عملا ولم يعمله وعمل عملا ولم ينوه كانت نيته هاته أفضل من عمله هذا غير أنه ربما يقول القائل ان تفضيل النية الحسنة التي وردت السنة بالإثابة عليها على عمل خال من النية لا يفهم له معنى فما هو إلا من باب قولهم « السيف خير من العصا» كما أن هذا العمل الخالي من النية ربما لا يتصور في الخارج إلا في شبه النوم والسهو ومعلوم أنه لا عمل إلا بنية وإلا فهو عديم الفائدة ، ولذلك قال الشبرخيتي بعد أن ذكر هذا المعنى : وهذا على معنى الإتساع لأن كل عمل بلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

نية لا خير فيه أصلا . (4) وكذلك قال الغزالي في إحياء علوم الدين ، قلت : يمكن تفضيل النية على العمل نظرا إلى صورته الظاهرة فما هو في الظاهر إلا عمل صالح وإن لم يكن ذلك العمل صحيحا ولا مثابا عليه . هذا معنى الحديث على سبيل الإجمال . وأما حمله على ضرب من المبالغة في إضمار النية الحسنة فما رأيت من نص عليه من المتقدمين فيما اطلعت عليه وما نحن إلا من أسرارهم في مثل هاته المعاني وكذلك كون أفعل التفضيل في الحديث مسلوب المفاضلة ما رأيت من نص عليه (5) اللهم إلا إذا كان المعنى نية المؤمن خير معتبر من عمله ، فيكون العمل ظاهرا وقلبيا وكله خير ومن جملة الأعمال القلبية النية الحسنة وهذا كله تأويل بارد وخروج عن مقتضى الظاهر ولا من داع يدعو لارتكابه . وما معنى الحديث إلا ما يعطيه منطوق اللفظ لأن الالفاظ أواني المعاني فلا محيد عن ظاهرها إلا بقرينة

« وجوه تفضيل النية على العمل »

ذكر العلماء وجوها كثيرة لتفضيل النية الصالحة على العمل الصالح : منها ما قاله حجة الإسلام الغزالي في الإحياء وجزم به حتى قال : إنه هو المراد ، قال فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض إن للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما ، فهذا

---

(4) أعمال العبادات لا تصح إلا بالنية ، بخلاف العادات كالأكل والشرب فلا يحتاج فيها إلى نية إلا إذا قصد بها تحصيل الثواب فلابدَ فيها من نية التقوّي على الطاعات ، وأما التّروك كإزالة الخبث وترك الزّنا وشرب الخمر فإنها ليست بعمل ، فتركها ولو بلا نية يسقط عقابها ، فإذا أراد الإنسان فوق ذلك تحصيل الثواب على تركها فلابدَ من نية تركها امتثالا للشارع الحكيم .

(5) رأيت بعد ذلك في قوت القلوب لأبي طالب المكّي ما يدل على أن أفعل التفضيل ليس على بابه وذلك على معنى التقدير فالتقدير حينئذ : نية المؤمن خير أي كثير من عمله . اهـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

معناه . اهـ بلفظه . ومنها كانت النية أبلغ من العمل لأنها هي قطب العمل ومداره عليها إذ بها يرفع العمل أو يوضع على قدر ما هي عليه من صحة واعتلال ومنها كانت النية الصالحة خير من العمل لأنها تحتمل التعدد والتكثر في العمل الواحد وذلك كما إذا جلس العبد في المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والذكر وقراءة القرآن والخلوة عن شواغل القلب ونية حفظ السمع والبصر واللسان وعمارة المسجد وزيارة الله لأن من قعد في المسجد قد زار الله وأن يستفيد أخٌ في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للآخرة ، وأن ينوي استفادة جميع ما قاله الحسن بن علي رضي الله عنهما : من أدْ مَنَ الإختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال : أخا مستفادا في الله ، أو رحمة مستنزلة ، أو علما مستظرفا ، أو كلمة تدل على هدى ، أو تصرفه عن ردى ، أو يترك الذنوب خشية أو حياء . اهـ . من الغزالي ، وهكذا فالنية تعددت والعمل وهو الجلوس في المسجد واحد فهاته النية ثوابها كثير وما تضاعف أجر الجلوس وتكاثر إلا بها ، فلذلك كانت خير الاعمال ، ومنها كانت النية خيرا من العمل ، لأن الإنسان يمكنه أن ينوي ويثيبه الله على نيته وإن لم يقدر على العمل ، كما إذا نوى أن يعتق عبدا وهو لا يملكه أو نوى أن يتصدق بمال كثير وهو لا يملك شيئا . كل هاته الوجوه ذكرها ساداتنا العلماء رضي الله عنهم وذكروا أكثر من ذلك والإختصار ألزمنا أن نقتصر على ذلك . قلت : ويحتمل أن تكون النية خيرا من العمل لانها تؤثر فيه بخلاف العكس . ويساعد على ذلك رواية : نية المؤمن أبلغ من عمله ، فإن أبلغ يشم منه قوة النية على العمل وتأثيرها فيه ، وقد قالوا رضي الله عنهم : إن الأعمال بحسن النية تصير قربة وطاعة لله حتى قال الغزالي : ما من شيء من المباحات إلا ويعتمد نية أو نيات يصير بها قربة من القربات وينال بها معالي الدرجات . وقال الغزالي فمن كان قصده من الأكل التقوّي على العبادة ، ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب أهله والتوصل به إلى ولد صالح يعبد الله بعده فتكثر به أمة محمّد صلّى الله عليه وسلم كان مطيعا بأكله ونكاحه اهـ ، وقس على هذين غيرهما من المباحات فإنها لا تنحصر فما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

عليك إلا أن تحسن نيتك في كل مباح فيصير قربة لله عزّ وجلّ فتكون لك في حسناتك ، ولهذا قال بعض العارفين من السلف : اني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ودخولي إلى الخلاء . نقله الغزالي .

وهنا نقول : يجمل بالعاقل أن يتنبه من نومة الغفلة ولا يحتقر عملا وإن دقّ ورقّ ، فإنه محاسب على النّقير والفتيل إذ الدنيا حلالها حساب ومن نوقش الحساب عذّب . فإن استعمل نيته التي هي إكسير العمل انقلب عمله قربة ، فيجازيه الله عليه جزاءًا موفورا ويحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا .

« أدِلّة الثواب على مجرد النية »

قد وردت أدلة كثيرة تدل على أن المؤمن إذا نوى عملا أثابه الله عليه وإن لم يعمله ، منها : قوله صلّى الله عليه وسلّم « من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة » ومنها حديث البخاري في غزوة تبوك قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة . قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ قال حبسهم العذر » فهؤلاء قد شركوا المجاهدين في الأجر بحسن نياتهم ، ومنها قوله صلّى الله عليه وسلّم « إن الله ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا. اكتبوا له كذا وكذا . فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك . فيقول الله تعالى إنه نواه » نقله الغزالي في إحياء علوم الدين قال العراقي في المغنى هذا الحديث رواه الدارقطني من حديث أنس بإسناد حسن ومنها قوله صلّى الله عليه وسلّم « الناس أربعة رجل اتاه الله عزّ وجلّ علما ومالا فهو يعمل بعلمه وفي ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الأجر سواء » الخ الحديث وهذا الحديث نقله الغزالي وقال فيه العراقي رواه ابن ماجة من حديث أبي كبشة الإنماري بسند جيد . فهذا الرجل لم يشارك العامل بعلمه في ماله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

في الاجر إلا بحسن نيته . ومنها ما رواه الحافظ المنذري في كتابه الترغيب والترهيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم « إنما يبعث الناس على نياتهم » رواه ابن ماجة بإسناد حسن وروى أيضا يبلغ به النبيء صلّى الله عليه وسلم قال : « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلّي من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه » رواه النسائي وابن ماجة بإسناد جيد اهـ . ومنها ما روي في صحيح البخاري أن النبيء صلّى الله عليه وسلم قال « كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال له توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » اهـ . (6) فهذا الرجل الذي خرج من قريته ، قرية السوء إلى القرية

---

(6) رواية مسلم في صحيحه لهذا الحديث أوسع واتم . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري لم أقف على اسم هذا الرجل من بني اسرائيل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم كمّل المائة ، غير أنه قال ان القرية الصالحة التي انتقل إليها اسمها نصرة والقرية الاخرى اسمها كفرة ، قلت والإسم فيه معنى المسمّى ، وقال في فتح الباري : وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الانفس ويحمل على أن الله إذا قبل توبة القاتل تكفّل برضا خصمه . ثم قال ابن حجر قال عياض : وفي الحديث أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب ، وهو وإن كان شرع لمن قبلنا وفي الاحتجاج به خلاف لكن ليس هذا من مواضع الخلاف لان موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقته أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف ، ومن الوارد في ذلك قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » . وحديث عبادة ابن الصامت ففيه بعد قوله ولا تقتلوا النفس وغير ذلك من المنهيات فمن أصاب من ذلك شيئا فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذّبه ، متفق عليه انتهى بلفظه.قال ابن حجر : ويؤخذ ذلك أيضا من جهة تخفيف الآصار عن هاته الامة بالنسبة إلى من قبلهم من الامم ، فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل فمشروعيتها لنا بطريق الاولى اهـ .
=

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثانية التي بها أناس يعبدون الله تعالى ليعبد معهم كما ذلك مبين في رواية هشام ونقله في فتح الباري لم يعمل شيئا من الصالحات فإنه لم يصل إلى هاته القرية حتى يعبد مع أهلها إنما حسن نيته وصدقها في توبته هو الذي كان سببا في الغفران له والله هو الغفور الرحيم . ومنها ما نقله العلامة الشبرخيتي والعلامة الفشني عن مسند أبي يعلى أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : « يقول الله تعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا فيقولون يا ربنا لم نحفظ ذلك ولا هو في صحيفته فيقول الله تعالى إنه نواه » ومنها ما نقله الفشني « أن العبد يؤتى به يوم القيامة ومعه حسنات كأمثال الجبال فينادي مناد من كان له عند فلان حق فليأت له وليأخذ حقه منه فيأتي الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة فيصير حيران فيقول الله تعالى عبدي إن لك عندي كنزا لم يطلع عليه أحد من خلقي ، فيقول يا رب وما هو فيقول نيتك التي كنت تنوي بها الخير كتبتها لك عندي سبعين ضعفا » ، ومنها أيضا ما نقل أنه

= وفي الحديث فضل التحول من أرض المعصية إلى أرض الطاعة لأن بقاءه بالارض الاولى مظنّة وقوعه في المعصية . وفيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعا أو عاصيا ، وإنهم يختصمون في ذلك ، فقد قالت ملائكة الرحمة إنه جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يفعل خيرا قط ، فقضى الله بينهم وأرسل إليهم ملكا على صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم وقال قيسوا ما بين الارضين فإلى أيهما أدنى كان له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الارض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة . قال ابن حجر في فتح الباري واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا . وفي الحديث حجة لمن أجاز التحكيم . وإن من رضي الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم . وفيه أن للحاكم إذا تعارضت عنده الاحوال وتعددت البينات أن يستدل بالقرائن على الترجيح . جميع ذلك نقلته من فتح الباري . قلت : وقد فاضت خزائن رحمة الله تعالى على هذا العبد وظهرت للعيان بأمره تعالى قرية المعصية بالبعد ولقرية الطاعة بالقرب وبذلك يظهر أن جميع ما تقدم من خصام الملائكة وحكم الملك بينهم إلهامات إلهية نشأت عن إرادة الله تعالى المغفرة لهذا العبد المذنب . ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار . =

This file was downloaded from QuranicThought.com

يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول يا رب ليس هذا كتابي فإني ما فعلت شيئا من ذلك فيقول الله تعالى « هذا كتابك لأنك عشت عمرًا طويلا وأنت تقول لو كان لي مال حججت به لو كان لي مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيتك ثواب ذلك كله » نقله الحافظ بن حجر في فتح الباري وعن ابن دقيق العيد ما نصه « من نوى شيئا يحصل له » يعني إذا عمله بشرائطه أو حال دون عمله ما يعذر شرعا بعدم عمله . اهـ . فهاته كلها أدلة على أن النية وحدها يثاب عليها صاحبها وإن لم يصحبها عمل .

« وقائع تؤيد ذلك »

جاءت وقائع نقلها العلماء تؤيد أن الله تعالى يثيب عبده على مجرد نيته قدّمنا بعضها ونزيدك منها ما تثبت به فؤادك فنقول : نقل الغزالي أنه حصل في بني إسرائيل قحط وغلاء فخرج أحدهم إلى الصحراء فمرّ على كثيب رمل فقال : وددت لو كان هذا ذهبا لتصدقت به ، أو لو كان طعاما لقسمته بين الناس ، فأوحى الله تعالى إلى نبيء زمانه أن قل لفلان إني قبلت صدقته ولم يتصدق

= تكميل: بمناسبة الكلام على توبة قاتل النفس وأنه مقبول التوبة كغيره من المذنبين ربما يسأل سائل فيقول : إنه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها يقتضي أنه لا توبة له . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قاتل المؤمن عمدا فأجاب : لا توبة له . فكيف تقول بقبول توبته ؟ قلت : الجواب عن ذلك هو ما أجاب به الحافظ ابن حجر في فتح الباري في آخر تفسير سورة الفرقان ونصه بحروفه : وقد حمل جمهور السلف وجميع أهل السنة ما ورد من ذلك على التغليظ وصححوا توبة القاتل كغيره وقالوا معنى ذلك فجزاؤهم جهنم أي إن شاء أن يجازيه تمسكا بقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » . ومن الحجة في ذلك حديث الإسرائيلي الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم أتى تمام المائة فقال له لا توبة لك فقتله فأكمل به المائة وجاء آخر فقال ومن يحول بينك وبين التوبة الحديث . وإذا ثبت ذلك لِمَنْ قبل من غير هذه الأمة فمثله لهم أولى لما خفف الله عنهم من الأثقال التي كانت على من قبلهم . اهـ بلفظه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بشيء ولكن صحت منه النية . وفي شرح الشبرخيتي قال ومن الدقائق ما جاء في التحبير للقشيري : أن بعضهم رؤي في المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ورفع درجاتي ، فقيل له بماذا ؟ فقال ها هنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ويعطون بالنيّة لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل لا بالفعل . وحكي عن بعض فضلاء الصوفية أنه كان مريضا فدخل عليه بعض إخوانه يعوده فقال لهم انووا بنا حجا وانووا بنا رباطا وعدد لهم أنواعا من البر فقالوا له : كيف وأنت على هذه الحالة ؟ فقال إن عشنا وفينا وإن متنا حصل لنا أجر النيّة . وقيل لبعض النسّاك كيف الناس عند مليكهم فقال على قدر نياتهم . وحكي عن أخوين أحدهما كان عابدا لله تعالى سنين طويلة والآخر كان مسرفا على نفسه كذلك فنوى المسرف أن يصعد لأخيه في معبده حتى يأتي أجله ونوى العابد أن ينزل لأخيه المسرف فيقضي معه زمانا في اللذات والشهوات ثم يتوب ، فسقط النازل على أخيه الصاعد فوقعا ميتين ، فيحشر العابد على نيّة المعصية ، ويحشر العاصي على نية التوبة . وقوله صلّى الله عليه وسلّم «وإنما لِكُلِّ امرىء ما نوى» يشير إلى ما قدمناه ويؤيده . ولو أردنا أن نستقصي الأدلة على حصول الثواب على مجرد النية والحكايات الواردة في ذلك لطال بنا المقال وفي ما قدمناه كفاية .

والحاصل : أن النية لها تأثير كبير في الأعمال حتى قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات » والأعمال لا تصح إلا بالنيّة ولا تتعين هل هي فرضٌ أو نفل إلا بالنية ولربما قلبت الأعمال المباحة طاعة يثاب عليها فاعلها كما تقدم غير أن النيّة لا تأثير لها في المخالفات بمعنى أن المعاصي لا تنقلب طاعة بل لا تصير مباحة بالنيّة ، فإذا قام أحد العاصين ، وقع في معصية بدعوى أن نيته حسنة وأنه قصد كذا وكذا وحرف قول النبيء صلّى الله عليه وسلّم إنما الأعمال بالنيات عن معناه فاعلم أنه ضال عن الصراط المستقيم مضل إلى سواء الجحيم . فإن الأمر الذي نص

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

عليه الشارع بأنه مخالفة وشر لا ينقلب طاعة وخيرا أبدا . وقد أُخذ من هذا الباب خلق كثير حفظنا الله وإياكم بما حفظ به عباده الصالحين وأدخلنا حصنه الحصين بحرمة سيد الأولين والآخرين صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه أجمعين .

« الإشارة في الحديث » (7)

قدّمنا أن النية تعظم وتكمل حتى تنتهي في الإخلاص الذي هو عبادة الله تعالى بلا رياء ولا سمعة ولا ولا ». والآن نقول : إن المؤمن الكامل يزداد إيمانه وتخلص نيته حتى تنتهي في سرّ الإخلاص لا في الإخلاص فقط ، وما سرّ الإخلاص إلا قصد أهل الكمال ونيتهم وهو إرادة وجه الله تعالى ، وفي الاكابر من أهل الإخلاص الذين هم أهل الصُّفّة نزل قوله تعالى مخاطبا لنبيّه الأكرم صلّى الله عليه وسلم « واصبرْ نفسك مع الّذين يدْعون ربّهُمْ بالْغداةِ والْعشيّ يريدُون وجْههُ » فكان صلّى الله عليه وسلّم يقول « الحمد لله الذّي جعل في أمّتي من أمرت أن أصبرَ نفسي معهم » .

---

(7) لست أول من تكلم على إشارة الحديث ، فلقد سبقنا فحول تكلموا على إشارة القرآن ، وتكلموا على إشارة الحديث ، وتكلموا على إشارة غيرهما منظوما ومنثورا . وليس معنى الإشارة أن ذلك هو مراد المتكلم لا غيره إنما معنى ذلك أن القلوب إذا استوى عليها سلطان الأحدية فغابت عن الخيالات الكونية حملت كل كلام سمعته على ما حملته هي من المعاني إذا كان بين اللفظ والمعنى تقارب ، وإن لم يقصد المتكلم ما فهمته القلوب ، وهذا سبيل المقربين فكثيرا ما يفهمون من الألفاظ معاني لم يقصدها المتكلم وإنما حركتها من قلوبهم الالفاظ وذلك على حسب الحال الغالب عليهم وقت التكلم . وقد نقل الغزالي في الإحياء من ذلك شيئا كثيرا منه أنّ قائلا كان يقول :

كل يوم تتلـــــــــــــــــوّن غيـــــــــــــــر هذا بك أحسن

فسمعه شاب فشهق شهقة ومات ، فكأن السامع نزل هذا البيت على حاله مع مولاه وأنه غير ثابت على حدود الأدب فتأسف على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلون في قبوله ورده وتقربه وإبعاده ، هذا المعنى الذي أراده المتكلم ولكنّ السامع فهم منه معنى آخر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

، إلى ذلك بشير حكيم الصوفية ابن عطاء الله حيث يقول : « الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها » فهؤلاء الأكابر وأمثالهم من الذين مُنِحُوا سرّ الإخلاص فتزينوا به . خلصت نياتهم حتى تعلقت بوجه الله تعالى فقال قائلهم :

وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقال قائلهم :

ليس لي في الجنان والنار رأي
أنا لا أبتغي بربي بديلا

وقال قائلهم :

قال لي حسن كل شيء تجلّى
بي تحلّى فقلت قصدي وراكا

مُستزِيدٍ حين ذلك من قوله صلّى الله عليه وسلّم « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » . فإن قلت كيف لا يرضون بالجنة والحال أن الله خلقها وأعدها للمتقين فما هذا إلا احتقارا لما خلقه الله تعالى وتكرم به على عباده . قلت :

=يشير به إلى حاله فنزل هذا البيت عليه . ونقل الغزالي أيضا أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الـــــــــرسول غدا تزو ر فقلت تعـــقّل ما تقـــــول

فتواجد وجعل يكرّر ذلك ويقول قال الرسول غدا نزور بالنون اهـ . باختصار وبعض تصرف . ونقل مثل ذلك ابن القيم في كتابه مدارج السالكين على منازل السائرين . وهذا وشبهه ما هو إلا نقل اللفظ من المعنى المقصود إلى المعنى المفهوم ، فإن كانت هاته المعاني المفهومة أعلى وأرقّ من المعاني المقصودة للمتكلم كما في هذين البيتين أو كانت لا تؤدي إلى نقص في مقصود المتكلم كان ذلك محمولاً وإلا فلا . اهـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ليس ذلك منهم احتقارا لنعمة الله تعالى فإنهم لا يحتقرون أدنى نعمة من نعم الدنيا فكيف بنعم دار القرار الخالدة إنما عظمت همّتهم وتوحدت وجهتهم حتى انحصرت في ذات مولاهم وليس لهم في غيره مطلب فلا يرجعون لغيره إلا بإذنه ممتثلين قوله « قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّمواتِ والأرْض » ونحوه من الآيات التي تأمر بالرجوع إلى المكونات فيالها من نية ويالله من قصد وإرادة وما أدراك ما هي ، قد عظمت لعظم متعلقها فنِيَّةُ هذا المؤمن خير من عمله الصالح الذي لا يدخله الجنة فقد قال صلّى الله عليه وسلّم ما معناه لطول العهد به « لا يدخل أحد الجنّة بعملهِ قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » ، فتلك النية خير من هذا العمل وإن كان الكلّ خيرا ، ولربّما تزلّ قدم فتقول إن هذه النية العظيمة تكفي عن العمل الذي لا يدخله الجنة فيطرح العمل . الجواب إن هذا المغرور هو المطروح لأن إضافة العمل إلى ضمير المؤمن في قوله عمله تدل على أن المؤمن لا بُدَّ لَهُ من العمل وعلى هذا المعنى تكون (الـ) في المؤمن للكمال فالمراد المؤمن الكامل نيته خير من عمله . وهذا احتمال في معنى الحديث من جملة الإحتمالات ، وحديث سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم يحتمل جميع ما قدمناه من المعاني وأكثر إذ قد أوتي صلّى الله عليه وسلّم جوامع الكَلِم وما قصرُ الحديث على معنى واحد لا يفهم منه غيره إلا حصر لواسع ، ومهما أمكن تعميم الحديث لمعان إلا كان أولى من تخصيصه بمعنى واحد . والنبيء صلّى الله عليه وسلّم يخاطب الناس ينزلهم منازلهم ، وكل يأخذ من لفظه بقدر منزلته ، والعبارة قوتٌ لعائلةِ المستمعين وليس لك إلا ما أنت آكله . هذا أيها الأخ ما أمكنني أن أكتبه لكم في هذا الحديث باختصار وما أعتقدت ذلك إلا خدمة لحديث سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم والأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

صدق سيدنا ومولانا محمَّد صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى يوم الدين والحمد لله ربّ العالمين . كُتِب في يوم الثلاثاء السابع والعشرون من شهر ذي الحجّة سنة 1353 هجرية .

محمَّد المدني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرّســـالة الثانيــة

بسم الله الرّحمــن الرّحيــمْ

العمدة المحترم سيدي مدير جريدة البلاغ السّلام عليكم ورحمه الله وبركاته . أما بعد فوفاءًا بما وعدنا قراء البلاغ من نشر ما تذاكرنا به معَ الأحبَّة بمدينة أمير المؤمنين سيدنا عقبة بن نافع رضي الله عنه من شرح الحديث الذي رواه الإمام مالك رضي الله عنه في موطاه الذي طالِعُهُ : « لَا تُكْثِرُوا الْكَلام بغَيْر ذِكْر الله فتَقْسُو قُلُوبُكُمْ » . فها أنا أبعث لكم ما سمحت به القريحة باختصار ، فإن رأيتم فيه صوابًا فذاك من فضل الله الذي يؤتي الحكمة من يشاء ، وإن رأيتم فيه خطأ فذاك وصفُ بني الإنسان والله حسبنا وعليه التكلان .

أقول : حمدا لمن أرسل رسوله بانهدى صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه نجوم الإهتداء .

أما بعد : بمناسبة مذاكرة دارت بين إخواننا في الله ورسوله في فضل الذكر حتى جرّنا الحديث إلى ما رواه الإمام مالك في موطاه ونصّه مالك : إنه بلغه أن عيسى ابن مريم كان يقول « لا تُكْثِرُوا الْكَلام بغَيْر ذِكْر الله فتَقْسُو قُلُوبُكُم فإنّ الْقَلْب القاسِي بعِيدٌ من الله ولَكِنْ لا تَعْلَمُون ولا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوب النّاس كأنّكُمْ أربابٌ وانظُرُوا فِي ذنُوبكُمْ كأنّكُمْ عَبيدٌ فإنّما النّاسُ مُبْتَلى ومُعافى فارْحَموا أهْل الْبلاء واحْمَدُوا الله على الْعافِيةِ » . اقترح علينا بعض الحاضرين شرح هذا الاثر الشريف لحسن ظنّه فينا فأجبنا رغبته ، ولَبّينا دعْوته ، تصديقا لظنه الجميل ، والله حسبنا ونعم الوكيل . قلت : هذا الحديث رواه الإمام مالك رضىْ الله عنه فى موطاه فيما يكره من الكلام بغير ذكر الله : قوله « لا تُكْثِرُوا الكلام بغيْر ذِكْر الله » الكلامُ البارزُ مِن الإنسان على ثلاثةِ أقسام : قسمٌ مأمورٌ به ، وقسمٌ منْهيَ عنْه ، وقِسْمٌ مُباحٌ ، فالأول إمّا مأمورٌ به على سبيل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الوجوب ، وإمَّا على سبيل النَّدْب ، وهذا الإكثار مِنهُ مَطلوبٌ . وقد أمر الله بالإكثار من الذكر الذي هو نوعٌ مِنَ الكَلامِ فقال : «يَأيُّهَا الَّذِينَ ءامنُوا اُذْكُرُوا الله ذِكْرًا كَثِيرًا » . والثاني أي المنهي عنه إمَّا على سبيل التحريم ، وإما على سبيل الكراهة وَهُو منْهيّ عَنْهُ قليله وكثيره . والثالث الذي هو المباح منهيّ عن الإكثار منه . أمّا قَلِيلُهُ الَّذِي لا بُدَّ مِنْهُ ولا انفِكاك لِبشر عنْهُ فلا . فهذا الأثرُ جاءنا هنا للنهي عن الإكثار من الكلام المباح الذي هو القسم الثالث من أقسام الكلام . أمَّاالقسم الأوّل وهُو المأمورُ به فقد أخرجه بقوله : « بغَيْر ذِكْر الله » لأن الإكثار بذكر الله وما والاه مأمورٌ به ومُرغَبٌ فيه ، فالنهيُ في الحديثِ واقعٌ عن الإكثارِ لا علَى التقليل . والكلامُ الواجبُ أو المندوبُ مأمورٌ به شرْعا ومُستَحسنٌ طبْعا كما تقدم ، لاشْتِمالِهِ على فائدة عائدة على السامع أو المُتكلِّم ، أخروية أوْ دُنيويَة ، ونهى عن الإكثار من الكلام المباح لأنَ كثْرتهُ تؤدّي إلى قسوة القُلوب لأنَ الإنسان إذا أكثر الوُلوغ في أوْدِيةِ الكلام وسقى بصديدِها أرض قلبه فلا شك أنها تصْبحُ أرْضا جُرْزا يابسة ، فإن الإنسان إذا أكثر من الكلام المباح صار مطمئنا قَلْبُهُ بِهِ بعد أنْ كان نافِرا عنْهُ مُشمئزًا منه ، وما أكثر الإنسان من شيء وواظب عليه إلّا اطمأنَ لهُ وتأنَس به في الخير أو ضِدِهِ ، وقد كان قبل ذلك نافرا منه كارها لهُ ، فارْتياحُ قلبه إلى كثرة الكلام المباح واطْمِئنانُه بِهِ ذلك هو قسوته ، وإذا قسى القلب وتصلّب فصار كالحِجارة أو أشدّ مِنها قسوة بعْد تأثيرُ الوعْظِ فيهِ بل يصير مُظهرا للمخالفات مثبتا للمعاصي والسيئات . والنهيُ عن الإكثار بالكلام بغير ذكر الله يقتضي الأمر بالإكثار بذكر الله لِأن القاعدة «ان النهي عن الشيء أمرٌ بضده» فكأنه قال : «أكثروا الكلام بذكر الله » كي تطمئن قلوبكم بالحضور مع المذكور ، وتتأهل لحمل الأسْرار ، ومشاهدة الانوار بعد الغيبة عما سوى المذكور من الاغيار لِأنَّ الإكثار من ذكر الله بابٌ للدخول لحضرة القدس والتمتّع بلذّةِ الانس . وقد قال بعضهم :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والذكر أعظم باب أنت داخله ؛ لله فاجعل له الأنفاس حُرَاسا .

فالذكر بابُ الفلاح ، ومِفتاحُ النجاح ، من أكثر منه وأجْهد واجهه المذكورُ وأخرجهُ من الظلمات إلى النور ، ولِذلك أمر به الحقُّ سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال : « يأيُّها الَّذِين ءامنُوا اذكُرُوا الله ذِكْرا كثِيرا وسبِّحُوهُ بُكْرة وأصِيلا هُو الَّذِي يُصلِّي عليْكُمْ وملائِكتُهُ لِيُخْرِجكُمْ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّور » ، فنادى المؤمنين وأمرهم بذكر الله كثيرا ، ولمْ يحْصُر الكثْرةَ ولم يحُدَّها لِيجتهد الذَّاكِرُ ويُكْثِر من الذكر ويزْجُر نفسه إن حدَّثتْهُ أنه بلغ حدَّ الكثْرةِ الَّذِي أُمِر به ، وخصَّ بالذكر طَرَفَيِ النَّهار الَّذيْن هُما البُكرة والاصِيل أي الصباح والمساء ليعمَّ جميع النهار بالذكر وهو تحريض منه تعالى على الإكثار وتفصيلٌ بعْد الإجمال إذ بعد أن أمر بالإكثار من الذكر خصَّص هذيْن الوقْتيْن المُحِيطيْن بالنهار أوله وآخره ، فيدخل الوسط أيضا لأنه ذكرهما بصفة الإحاطة بجميع الزمن ، ثم ذكر سبحانه نتيجة الإكثار من الذكر والتسبيح بكرة وأصيلا فقال : « هُو الَّذِي يُصلِّي عليْكُمْ وملائِكتُهُ » ، فأخبر أن الله وملائكته يصلُّون على المكثرين من الذكر ، وصلاة الله عليهم رحمة لهم ، وصلاة الملائكة عليهم استغفارهم لهم ، فهي جملةٌ ذُكِرتْ عقب الأمر بالإكثار من الذكر للجزاء كأنه قال : أنتم مأمورون بالاكثار من الذكر فيجازيكم الله تعالى فيصلِّي عليكم هو وملائكته وماهو إلا جزاء عظيم للمكثرين من الذكر ، كيف لا وقد جازاهُمْ برحمته واستغفار ملائكته ، ومَنْ رَحِمَهُ الله لَا تعْلمُ نفسٌ ما أُخْفِي له من قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، فعدُّ لَهُ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سمِعتْ ولا خطر على قلْب بشر ، فمنهم من يُنجِّيه من عذاب أليم ويدخله إلى دار النعيم ، ومنهم من يخرجهم من ظلمات السِّوى إلى أرْض المُستوى ، ولذلك قال : « لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ » أي من ظلمات الأغيار إلى نُور الاسْرار أوْ نَقُولُ من ظلمات الخلق إلى نُور الحقِّ ، فهاتِه غايةُ من يصلي الله عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وملائكته ، وما هي إلا نتيجة الإكثار من ذكر الله ، فمن أكثر من ذكر الله تعالى قَرَّبَهُ إليه وأدْناهُ وأسبل عليه حُلَّةَ نوره وسناهُ . حتى يصير مذكورا بعد أن كان ذاكرا يذكره الله فيمن عنده ، قال الله تعالى «أذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ » وقال في بعض كلامه : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير مِنْهُمْ » الحديث . والجزاء في الآية والحديث مرتّب عليه وجود أصْل الذِّكْر ، فكيْف بالإكثار منه الذي حضَّ عليه في حديثنا بالنهي عن مقابله وهو كثرة الكلام بغير ذكر الله . والحاصل : أنه بقدر ما ترْفعُ كثرةُ الذكر صاحبها إلى أعلى عِلِّيين حتى تخرجهُ من الظلمات إلى النور تخْفضُ كثرةُ الكلامِ صاحِبها إلى أسْفَل سافِلِين حتى يقْسُو قَلْبُهُ فيضحى بعيدا من الْمذْكُور ، ولذلك قال : « فإن الْقلْب الْقاسِي بعِيدٌ من الله ولكن لا تعْلمُون » أي : فإن القلب الْقاسِي الذي سببُ قسْوتِه كثْرةُ كلامِهِ بغير ذكر الله بعيدٌ من الله ، وكيف لا وهو قليلُ الذِّكْر لله ولا يبْعُدُ أن يتْركه أصْلا إذ كثْرةُ الْكلامِ بغير ذكر الله تقتضي التَقْلِيل منه طبْعا ، فيكْفِي الغافِل بُعْدا أنَه قليلُ الذِّكر لله كثِيرُ الْكلامِ على غيْره ، فهو مشغولٌ بالمخْلوق مُعْرِضٌ عن الخالق ، فهذا هو بُعْدُهُ عن الله وياله من بُعْد ، ولكنَ الْمسْتغْرق في أوْدِيةِ الكلام والوالِغ من مياهِ القِيل والقال تلقاه دائما في هُيامٍ لا يعلم أنه بعيدٌ عن الكبير الْمتعال لذلك قال : « ولكنْ لا تعْلمُون » أي ولكنَكُمْ أيها الْمكْثِرُون من الكلام بغير ذكر الله لا تعْلمُون أنكم مُبْعدُون عنْه ، وهذا غايةٌ في التوبيخ والتقْريع لهُمْ حيث أنهم جهلوا حالهُم ولم يعلمُوا ما حلَّ بهم من الْبُعْدِ عن الله ولم ينتبهُوا لذلك أي ولو علمتم أنكم بعيدُون عن الله لرجعتم وقلَلْتُم الكلام بغير ذكر الله وأكثرتم من ذكره حتى يخرجكُم من ظلماته إلى نوره إذ الأولى بالإنسان والأجْدرُ به هو الإشتغال بذكر مولاه وإعراضُهُ عمَا سواه ، فإنَه ما خُلِق إلَا لِأجْلِهِ : « وما خلقْتُ الْجنَ والإنْس إلَا لِيعْبُدُون ما أريدُ مِنْهُمْ مِنْ رزْق وما أريدُ أن يُطْعِمُون . إنَ الله هُو الرَزَاقُ ذُو الْقُوَةِ الْمتِينُ » أي ما خلقت كل فرد من أفراد الجن وما خلقت كل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فرد من أفراد الإنس إلّا لعبادتي وما أريد منهم من رزق يرزُقون به أنفسهم إذ ما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها فأنا الرَزّاق المتين المُنعمُ على جميع العالمين وقال تعالى في بعض كلامه : « يا ابن آدم خلقتك من أجلي وخلقت جميع الأشياء من أجلك » أي فكن تابعا لمولاك واشتغل به ، فإنه قد أكرمك ورفعك إليه لتكون جميعُ الأشياء تابعةً لك ولا تشتغلْ بغيره فتبعُد عليْهِ وأنت لا تعلم بما وقعت فيه وسُلّط عليْك إذ كُلّ من تعلّق بشيء سلّمه الله إليه ، ثُمّ إنّ الإنسان إذا صار بعيدا عن الله فلا شكّ أنّهُ يترقّى في غيّه إلى ما هو أدهى وأمرّ وأعظم وأكبرْ فيأخذ في الْمُخالفات وارتكاب السّيّئات فيصير محاربا لشرع الله مُعاكِسا لأوامره ونواهيه لا يفعل ما أمر الله به ولا يجتنب ما نهاه الله عنه فيأخذ في ظُلْمِ زيْد وأكل مال عمْرو والتّنْقِيب عنْ عُيُوبِ بكْر ولربما يخْتلقُها له وهو بريءٌ مِنها ، وهذا أي عدم امتثال الامر واجتناب النّهي بدايةُ التكذيب بما أنزل الله والعِياذ بالله تعالى . ولربّما تتعاظم ظلمته ويتكاثف حِجابه وشقوتُه حتى يتدرّج شيئا فشيئا إلى أن يدعى ما يناقض أوصاف بشريّته ، ويخالف لوازم عبوديّته ، ولذلك قال : « وَلاَ تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ » فإنه ما نهى عن النظر في ذنوب الناس وعيوبهم إلّا لانّ الإنسان يتدرج من التكثير من الكلام بغير ذكر الله إلى البعد عن الله إلى التفتيش والتنقيب على عيوب الخلق ، ثم لما علم أنه يتدرج إلى أنْ يصير يتمنّى أنه لو عاقب زيْدا أو عمْرا على أفعالهم شبّهَهُمْ بالارباب مِنْ بشْعِ حالهم ، وهذا الدّاء العُضال كله أصابهم بسبب الإكْثار من الكلام بغير ذكر الله ، وإذا تمكّن الدّاءُ فيمنْ هذا وصْفُهُ واشتدّ البلاءُ على من هذا نعتُهُ أرشده إلى الإلْتفاتِ لما يعْلمْ به حاله ، ويداوي به مرض قلبه فقال : « وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ » حالة كونكم مُشبّهين أنفسكم بالعبيد أمام سيّدِهِمْ ، يخافون عقابه لهم إذا فعلوا ما نهاهم عنه وتركوا ما أمرهم به ، وتشبيههم بين يدي ربهم بالعبيد أمام سيدهم إنما جاء على حسب قصر العقول ، وإلا فأين حالة العبد بين يدي المولى العالم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالسر والنجوى الذي لا يخفاه شيء في الأرض ولا في السماء ، له العظمة والكبرياء من عبد عاجز ليس له من الامر شيء . واعلم أن من اشتغل بعيوب نفسه وأمراضها أخذ في معالجتها ومداواتها فيطرح عنها السيئة ويبدلها بالحسنة وهذا من الاسلوب البديع الغريب في التذكير ، فبعد أن يُشخِّص المُذكِّرُ الداء يصف لصاحبه الدواء وهو شأن الطبيب الماهر في الأشباح والأرواح ، ثم ذكر أن الناس على قسمين : قسم ابتلاه الله بالمعصية ، وقسم عافاه الله منها ، فقال : « إِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى وَمُعَافَى » فالناس في هاتين الحالتين محصورون لا خروج لهم عنهما فريق في الجنة وفريق في السعير ، ثم إلى كيفية السير والمعاملة مع خلق الله فقال : « فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ » أي لا تتخذوهم سُخْرِيًا ولا تنظروا إليهم بعين الإزْدِراء فإنّ الخاتمة مجهولةٌ والعِبرةُ بها ، فاعلموا أن الله هو الذي ابتلاهم بما سلّط عليهم من الذنوب والمصائب فلربّما يداويهم بما يُسلِّط عليهم من المصائِب إذ هُو طبيبُهُمْ وهذا إن لم يتوبُوا وَيُقْبِلُوا عَلَيْهِ وإلا فإنّ الله يقبل التوبة عن عباده ويعْفو عن السيّئاتِ ويحبّ التّوّابين وهُو التّوّاب الرّحيمُ . وقد روى الإمام أحمد في مسنده حسبما نقله ابن القيم في كتابه مدارج السالكين على منازل السائرين أن الله تبارك وتعالى يقول في حديث أخرَه « وأَهْلُ معْصِيتِي لا أُقْنِطُهُمْ مِنْ رحْمتِي إن تابُوا إليّ فأنا حبيبُهُمْ وإن لَمْ يتوبُوا فأنا طَبيبُهُمْ أبْتليهم بالمصائِب لِأطهّرهُمْ مِن الْمعائِب » ولا تُنافِي رحْمتُهم إقامةُ الحدّ عليهم بل إقامةُ الحدّ عليهم من الرّحمة بهم ، ومن وُجوه رحْمتِهمْ أن لا يُعيّرهُمْ بما ابتلاهُمُ الله به ، ولذلك قال سيدنا يوسف عليه السّلام لإخوتِه : لا تثْريب عليْكُمُ الْيوْم يغْفِرُ الله لكُمْ وهُو ارْحمُ الرّاحِمين أي لا تعْيير لكمْ وقد قال صلّى الله عليه وسلّم : « إنْ زنتْ أمةُ أحدكم فلْيُقِمْ عليْها الحد ولا يُثرِّبْ أي لا يعيّرها ، ومن رحمتهم ارتكابُ التأويل لهم إذ ربما يكون ذلك الذنب هو الأخير فيكون سببا في التوبة ، ولربّما يصاحبه انكسارٌ وذِلةٌ فيكون أفضل من طاعة أدخلها العجبُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والإستكبار ، وفي حكم ابن عطاء الله رضي الله عنه : ربّ معصية أورثتك ذلا واحتقارًا خير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا . قوله : « وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ » أي التي منحها لعباده الذين عافاهم الله من المعاصي ، وخطابه بقوله : «وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ» يدل على أن المُخاطبين به ممن يمنحهم الله العافية من المُخَالفاتِ إذا عملوا بما أرشدهم إليه وذكّرهم به من النهي عن الإكثار من الكلام بغير ذكر الله ، والنهي عن النظر في ذنوب الناس ، والعمل بما أمرهم به من النظر في ذنوبهم ، والإلتماس للأعذار برحمة أهل البلاء ، وحمدِ الله على العافية . نسأل الله أن يعافينا وجميع المؤمنين آمين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خـاتمـــة

من أنواع الذكر الدعاء وهو مخ العبادة لما فيه من مناجات العبد ربه بأسمائه الحسنى : «ولله الأسْماءُ الْحُسْنى فادْعُوهُ بها » ففيه من الحضور مع الباري جل جلاله ما لا يخفى على كل ذاكر . وقد أمر الله به في كتابه فقال : « أدْعُوني أسْتجبْ لكُمْ » نعم ذكر العلماء لإستجابة الدعاء شروطا أهمُها : أكل الحلال والاضطرار من الداعي إلى مولاه جلّ وعلا وإلى ذلك يشير قوله تعالى : « أمَنْ يُجيبُ المُضْطرا إذا دعاهُ » وقد استطردنا هنا مسألة كانت وقعتْ بحاضرة تونس أجاب عنها حضرة أستاذنا وسيدنا أحمد العلاوي رضي الله عنه صورتها : أنه كان في زيارتِهِ الأولى عام 1328 هـ لحاضرة تونس اجتمع بالعلامة المحقق سيدي محمد بن الخضر بن الحسين والعلامة المرحوم الشيخ سيدي صالح القصيبي بمحل المرحوم النابغة الشيخ سيدي محمد الصكلي الخنيسي الكائن بالحجّامين ، فقال الشيخ سيدي صالح المذكور إنّ فضيلة شيخ الاسلام العالم المحقق الشيخ سيدي محمود بن الخوجة كان تكلم في ختم رمضان على حديث « أُدْعُوني بلِسانٍ لمْ تعْصُوني بهِ قطّ أو ادعُني بلِسانٍ لم تعصِني بهِ قطّ » واستشكل ظاهر الحديث واستشكل أيضا ما أجابوا به من أن الإنسان يتسبب في دعاء غيره له بالإحسان لذلك الغير فإن الله تعالى يخاطب العبد ويأمره بالدعاء هو بنفسه ، وحمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز إلّا لِدَاعٍ أو قرينة مانعة من معناه الحقيقي فلم ينْفِ الإشكال عنْهُ مولاي شيخ الإسلام برّد الله ثراه ولم يحْصُلْ جوابٌ وقد ساق الشيخ صالح هاته الواقعة مساق السؤال للأستاذ ، فأجاب الأستاذ بما صورته : إن لنا مقامين : الأول عامّ والثاني خاصّ . أما العام فهو أن يدعو الداعي بآيات القرآن الكريم كقوله تعالى : « ربّنا اغْفِرْ لنا ولإخْوانِنا الّذِينَ سبقُونا بالإيمانِ ولا تجْعلْ فِي قُلُوبنا غلًّا لِلّذِين آمنُوا » وكقوله تعالى : «واعْفُ عنّا واغْفِرْ لنا وارْحمْنا أنْتَ مولانا فانصُرْنا عَلى القوْمِ الكافِرين » وغير ذلك من آيات الدعاء ، والقرآنُ لِسانٌ عربيّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مبين لم يعص أحد به ربه إنما هو لسان طاعة عباده . فكل داع من أيّ طبقة كان له أن يدعو بهذا اللسان . أما الخاص فبيانه أن الله تعالى يقول في بعض كلامه : «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مِمَّا افْترضْتُهُ عليْهِ ثم لازال يتقرّبُ إلَيَّ بالنّوافِلِ حتّى أحِبَّهُ . فإذا أحْبَبْتُهُ كنت سمعهُ الذي يسمعُ به ، بصرهُ الذي يُبصِرُ به . الحديث » فإذا منَّ الله على عبده بهذا المقام فصار الحق سمعه وبصره ولسانه الخ وأشرقت أرضه بنُور ربّها فاللّسان حينئذ ليس بلسان هذا العبْد إنّما هو لسانُ المعْبُودِ جلّ شأنه فيدعوه بلسانهِ الذي لم يعْصِهِ بِهِ قطّ . هذا حاصلُ ما أجاب به حضرة مولانا الأستاذ في ذلك الوقت قد علق بذِهْنِي ذكرُتُهُ باختصار ، لم أدر إذا كان به تفْصِيلٌ أكثر من ذلك لطول العهد به ، لكنه ، وقع هذا الجواب إذ ذاك من الشيخين سيدي محمد الخضر ، وسيدي صالح الفصيبي موقعا حسنا . وقد وقع من جميع أفراد المجلس موقع الزلال من الضمآن ، وعلى هذا النمط أجوبة الأستاذ في حل المشكلات ، وقد جمع بعض أتباعه سفرا مجلدا لما حققه من الأجوبة عن الآياتِ والأحاديث رضي الله عنه وأطال بقاءه لنفع العباد آمين . هذا ، إن الذكر فضائله لا تُحْصى وفائدته العائدة على القلب بالصلاح لا تستقصى . وقد وردت آيات كثيرة في الحث عليه إن لم نقل ما شرعت الشرائع إلا لأجله . أما صحاح الحديث فقد غصت بالأحاديث الواردة في فضل الذكر من ذلك ما رواه البخاري في الجزء الرابع من صحيحه ونصه : حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرّة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » ورواه مالك في موطاه بهذا اللفظ ومن الأحاديث الواردة في فضل الذكر ما رواه مالك في موطاه في الجزء الأول منه في ما جاء في ذكر الله تبارك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتعالى ونصه : (وحدثني عن مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ») . ومن فوائد الذكر مداواة أمراض القلوب فإنها مصقلة لها يذهب بجميع أدناسها وأرجاسها :

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ
ونترك الذكر أحيانا فننتكس

ومنها التأليف بين أفراد الذاكرين وارتباط قلوبهم ببعضهم وهو أمر مشاهد ، ترى الغربي يحبّ المشرقي والعربي يحب الاعجمي وما بينهما من صلة إلا الإجتماع على ذكر الله تعالى وبذلك تحصل محبة الله لهم لانهم متحابون في الله ، وقد قال تعالى في بعض كلامه : « وجبت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتباذلين في » نعم إن محبة الله تعالى معلقة في هذا الحديث على حصول المحبة من الطرفين أي التزاور والتباذل منهما أيضا وهو ما تقتضيه صغة التفاعل في الاوصاف الثلاثة ، وقد طبقنا أوصاف هذا الحديث على أفراد ذلك المجلس فإذا التحابب في الله حاصل من الطرفين كالتزاور فإن هذا العبد قد زرتهم لبلادهم لله ونزلت في البيت المحبس على الضيوف وهم قد زاروني فيه وكذلك وصف التباذل أيضا ، فقد أكرموا ضيفهم بمأدبتهم الطيبة ، وأكرمهم ضيفهم بما فتح الله عليه من المعاني الروحية والنكت المعنوية ، وما حملنا على تطبيق هذا الحديث على ذلك المجلس إلا حسن ظننا في الله تعالى رجاء أن تعمنا بركة الحديث فيجعلنا الله من عباده المحبوبين فنحظى بمحبته ونتحلى بجميل صفاته وما ذلك على الله بعزيز إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير . سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله صاحب الجد والكرم ، والصلاة والسلام على أفضل العرب والعجم سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى يوم الدين . أما بعد فمن كاتبه العبد الفقير إلى مولاه الغني محمد بن خليفة بن الحاج عمر المشهور بالمدني القصيبي المديوني إلى العلامة المبرور سليم الصدر جميل الذكر الشيخ سيدي الحاج حسن الهنتاتي الصفاقسي (1) السلام عليكم ورحمة الله والبركة وعلى جميع أهل نسبة الله الذاكرين والأصدقاء المحبين إخوانكم في الله بحاضرة صفاقس ، هذا وقد تشرفنا أيها الأستاذ بكتابكم الكريم الذي يتدفق شوقا ورغبة بارك الله في أنفاسكم الطاهرة فتسلمناه بيد الرغبة وطالعناه ببصر المحبّة فإذا فيه سؤالكم عن الاثر الذي رأيتموه في مجلة مصرية بلفظ : مَنْ حَبَّ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ . فهل هو حديث نبوي كما ذكر صاحب المجلة ؟ وإذا ثبت أنه حديث فالمرغوب أن تشرحوه لنا بطريق الإشارة أي على المشرب الصوفي وأنا لكم من الشاكرين .

---

(1) الشيخ حسن بن إبراهيم بن الحاج محمود الهنتاتي المولود في 16 أفريل سنة 1923 بصفاقس . زاول تعلمه بالمدرسة الإبتدائية القرآنية ثم بالمدرسة العربية الفرنسية ببيكفيل ومنها تحصل على الشهادة الإبتدائية في جوان سنة 1939 م ثم التحق بالفرع الزيتوني بصفاقس ومنه تحصل على الشهادة الاهلية ثم التحق بالجامع الاعظم بتونس وتحصل على شهادة التحصيل في جوان سنة 1946 م وفي نفس السنة نجح في مناظرة التدريس بالآفاق بزاوية سيد أبي اسحاق الجبنياني ومناظرة الكفاءة في التوثيق ونجح في الدخول بالمناظرة إلى مدرسة ترشيح المعلمين بتونس في أكتوبر سنة 1947 وأمضى عام تربّص بها ثم عيّن في أكتوبر 1948 معلما بصفاقس للّغة العربية وفي أواخر العام الدراسي 1979 أحيل على التقاعد الوجوبي وأرجع لمباشرة مهنة العدالة ابتداءً من نوفمبر 1979 وهو مباشر الآن للإشهاد بصفاقس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وإني أقول كلمة قبل كل شيء وهي ان التفرقة بين كون اللفظ حديثا نبويا أم لا أمر لا يعرفه إلا رجال الحديث الكاملون الذين لهم أقدام راسخة وأحول شامخة في عِلْم الحديث . أما هذا العبد محمد المدني فليس من أهل هذا الشأن ، ولا من فرسان ذلك الميدان لان بضاعتي مزجاة في هذا الفن الغالي ، ولكن نزولا عند إرادتكم وجوابا لرغبتكم فإني أجيبكم بما فتح الله لي من الفهم وألهمنيه من العلم والناقص في عين الرضا جميل والله حسبي ونعم الوكيل .

فأقول : إن كتابكم يشتمل على سؤالين : الأول : هل هذا حديث أو لا ؟ والثاني: شرحه بطريق الإشارة ، والجواب عن السؤال الأول:

« هل هذا حديث نبوي أم لا ؟ »

الجواب : إني قد طالعت تلك المجلة المصرية مجلة المصوَر عدد 1633 في جمادي الثانية سنة 1375 هـ . فرأيتها ذكرت ذلك الحديث كما ذكرتموه في كتابكم حرفا بحرف ، وذلك في جملة محادثة خيالية كتبتها المجلة ، ورأيتها أثبتت ذلك الحديث بدون أن تذكر درجته العلمية ، ثم طالعت كتاب الجامع الصغير للإمام السيوطي في حرف الميم فرأيته قد ذكره بصيغة مخالفة لما ذكره صاحب المجلة وهو قوله : مَنْ عَشَقَ فَعَفَّ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ شَهِيدًا . ثم قال الإمام السيوطي وإسناده ضعيف ، وهو ما قصر عن درجة الحسن . وتتفاوت درجته في الضعف بحسب بعده عن شروط الصحة . ثم طالعت كتاب أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب للإمام محمّد ابن الشيخ درويش الشهير بالحوت البيروتي ، فرأيته ذكر هذا الحديث بلفظ : مَنْ عَشَقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ

= أما الدخول إلى الطريق فكان خلال عام 1935 على يد المقدَّم المبرور سيدي حسين عبد الهادي .

وقام برحلات متعددة صحبة المغفور له الشيخ سيدي محمد المدني داخل الجمهورية التونسية وخارجها . انتهى من خطه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا . ثم قال الشيخ درويش فيه سويد بن سعيد أنكره ابن معين وغيره وقال لو كان لي فرس ورمح لغزوت سعيدا . وقال ابن الجوزي مدار الحديث عليه فهو لا يصح ، ثم بالمصادفة طالعت كتاب الكشكول لمحمّد بهاء الدين العاملي فرأيته ذكر هذا الحديث بلفظ : مَنْ عَشَقَ وَكَتَمَ وَعَفَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ . هاته الكتب التي وجدت فيها هذا الحديث مع ملاحظة الرجال عليه فهو عندهم ضعيف على ما في ألفاظه من الإختلاف ، وقد طالعت كتاب هداية الباري لترتيب أحاديث البخاري فلم أجده فيه ومن طالع هذا الكتاب فكأنما طالع صحيح البخاري بتمامه ، وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد أن يعرف درجة هذا الحديث ولكن ضعف الحديث وعدم صحته لا يمنع شرحه ومعرفة معناه فإن معاني الكلام الصحيحة ينتفع بها القارىء ولو مع عدم صحة اتصال الالفاظ بمن نسبت إليه فها أنا أشرع في شرح هذا الحديث حسب الإستطاعة وضعف البضاعة فأقول السؤال الثاني:

« شرح هذا الحديث بطريق الإشارة »

الجواب : مفردات الحديث : العشق عجب المحب بمحبوبه ، أو إفراط الحب ويكون في عفاف وفي دعارة ، والرجل عاشق ، والمرأة عاشق وعاشقة . وعف عفافا وعفة فهو عِف بكسر العين وعفيف كفّ عما لا يحل له ولا يجمل . كتمه كتما وكتمانا أسرّهُ ولم يفشه . هذه معني المفردات في اللغة ذكرناها باختصار .

والمعنى : الذي عشق وأفرط في الحبّ ، فعف في عشقه ، وكفّ عما لا يحل له ، وكتم عشقه وعفته ، وعجل به الموت على تلك الحال المباركة الطيبة فإنه يموت شهيدا أي من شهداء الآخرة الذين شهد لهم النبيء صلّى الله عليه وسلّم بالشهادة في الآخرة ، فيؤتيه الله أجر شهيد الجهاد الذي مات لإعلاء كلمة الله غير أنه يفارق شهيد الجهاد في كونه يُغسّل ويُصلّى عليه بخلاف شهيد الجهاد فإنه لا يفعل به شيء من ذلك ليحشر على ما مات عليه . ثم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أقول إن العطف بالفاء التي للتعقيب يدل على اتصال العفة بالعشق . أما إذا عشق ثم بعد مدة وقع منه فيها ما وقع ثم عفّ وتاب إلى الله فليس له حكم من واصل العفّة بالعشق . ولا يحظى بهاته الدرجة درجة الشهادة ، كما أن العطف بالفاء الدالة على التعقيب الدالّ على شرط اتصال الكتمان بالعفاف بحيث يكون كتمانه متصلا بالعشق والعفّة . أما إذا عشق وعفّ ثم لم يكتم أمره من العشق والعفّة فإنه ليس له حكم الشهادة أيضا لأن التحدث بالعشق يؤذي العاشق والمعشوق ويمزق عرضيهما ، والتحدث بكتمان العشق والعفّة كأن يقول عشقت وكتمت ولم أحدث أحدًا بذلك يرجع على المتحدث بالرياء والكبر والإعجاب بالنفس ، فهو ضار بنفسه من حيث لا يشعر حفظنا الله تعالى . ثم إن التحدث بالكتمان إفشاء وليس بكتمان . وقوله فمات بالفاء يدل على الإتصال كما تقدم أي فمات عاجلا بدون مهلة بين الموت والعشق والعفّة والكتمان فإنه يموت شهيدا أي من شهداء الآخرة كما تقدم . والحاصل أن من عشق وكان نزيها في عشقه وكاتما له وقدر الله عليه بقرب أجله فإنه يموت شهيدا ينزله الله منزلا مباركا وهو خير المنزلين . أما من كان عشقه في دعارة وفساد حفظ الله الجميع فإذا أقلع عن ذنبه وتاب إلى الله ورجع إليه فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويحبّ التوّابين ويحبّ المتطهرين وإذا لم يتب من ذلك فإن أمره مفوّض لربّه

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوّض لربّه

فائدة : الشهداء قسمان . القسم الأول : شهداء الدنيا وهم الذين يموتون في حرب الكفار مات الشهيد بسلاح الكفار أو بسلاح نفسه أو سقط عن فرسه أو نحو ذلك ، وهذا لا يغسّل ولا يصلّى عليه كما تقدم . ثم إن قصد بجهاده وجه الله تعالى ونصر دينه كان من شهداء الآخرة أيضا وإلا فهو شهيد الدنيا ولا ثواب له في الآخرة . القسم الثاني:شهداء الآخرة وهم الذين شهد لهم الله ورسوله بالجنة . وهؤلاء يغسلون ويصلّى عليهم . هذا وقد وردت أحاديث كثيرة لبيان شهداء الآخرة منها ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « ما تعدّون الشهداء فيكم ؟ قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال إن شهداء أمتي إذن لقليل ، قالوا فمن يا رسول الله ؟ قال من قتل في سبيل الله فهو شهيد (2) ومن مات في الطاعون (3) فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد والغريق شهيد » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله » متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله أرأيت ا ن جاء رجل يريد أخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال أرأيت إن قاتلني قال فاقتله قال أرأيت إن قتلني قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلته قال هو في النار . هذا وقد جمع بعض الأفاضل شهداء الآخرة ونظمهم في أبيات فقال :

من بعد حمد الله والصلاة ... على النبي وآله الهداة
خذ عدة الشهداء سردا نظما ... واحفظ هديت للعلوم فهما
محب آل المصطفى ومن نطق ... عند إمام جائر بعين حق
وذو اشتغال بالعلوم ثم من ... على وضوء نومه نال المنن
ومن يمت فجأة حريق ... ومائت بفتنة غريق
لديغ أو مسحور أو مسموم ... ذو عطش مجاعة مولوم
أكبل سبع عاشق (4) مجنون ... والنفسا ذو الهدم المبطون

(2) أي بسبب غير القتال كأن سقط عن فرسه ومات حتف أنفه
(3) الطاعون هو وخز الجن ومحله ما لم يسمع به في بلد فيقدم عليه للنهي عن ذلك .
(4) هو موضوع رسالتنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن بذات الجنب أو ظلما قتل أو دون مال أو دم أهل نقل
أو دين أو في الحرب أو مات به مؤذن محتسب لربّه
وجالب مبيع سعر يومه أو مات في الطاعون بين قومه
كذا الغريبُ وبعين قد قرا أواخِرَ الحشر بها نال الذرا
ومن يلازم وتره ووِرده عند الضحى وصوم حتم سعده
ومن يصلِّ ثالث الأسبوع عند الزوال عاشر الركوع
ويقرأ الكرسيَّ بعد الفاتحه وسورة الإخلاص حتما صالحه
ومن يقل في الموت بارك ثم في ما بعد خمسا والعشرين اصطفى
ومن بصدق يسأل الشهاده نال بذاك غاية السعاده

خاتمة

أما فهم الحديث بطريق الإشارة حسبما يفهمه الخاصة من الأمة المحمدية فهو الذي يعشق الحضرة الإلهية ويتقوى حبه فيها فيعفّ ويترك ما نهاه الله عنه ويتقرب إلى الله بما فرض عليه ثم يتقرب إليه بالنوافل حتى يصير محبوبا عند الله فيكونَ لُه الحق سمعا وبصرا ويدا ورجلا ويكون مجاب الدعوة ويكون كاتما ما يفيض عليه من العلوم الأحدية ولا يبوح بسره الذي يتجلى الله به عليه (5) فإذا مات بعد ذلك كان شهيدا وكان مغفورا له يتمتع بدخول دار النعيم وبالنظر إلى وجه الله الكريم .

اللّهم اجعلنا من عبادك المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون آمين .

كتبه محمد المدني في يوم الجمعة الرابع والعشرين من رمضان المعظم عام 1375 هـ .

---

(5) ولذلك قيل هل أحدث بكل ما أسمع منك يا رسول الله قال نعم إلا بحديث لم يبلغ عقول القوم فيكون على بعضهم فتنة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الرّسـالـة الـرابعة

بسم الله الرّحمـن الرّحيـم

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ »

بسم الله الرّحـمـن الرّحيم

يقول العبد الفقير الفاني محمّد بن خليفة بن الحاج عمر المشهور بالمداني : الحمد لله والصلاة والسّلام على رسول الله . وبعد ، كان تفسيري لهاته الآية الكريمة بواسطة أحد الإخوان طرق سمعي فأحببت أن أسطر مبانيها حفظا للطائف معانيها . قائلا ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا فيها . ولما كانت الآية لها مساس بالفناء والبقاء المصطلح عليهما عند أهل الكمال لزمني أن أذكر مقدمة في الكلام عليهما ، ثم أذكر إن شاء الله خاتمة بعد شرحها .

المقـدّمـة

أقول والله أعلم : ان الفناء قسمان : أحدهما : أن يفنى الإنسان عن أبناء جنسه أي غيره من المخلوقات علويا وسفليا ، والآخر : أن يفنى عن نفسه . أما الفناء عن الغير فهو عبارة عن اضمحلال جميع الكائنات ومحق سائر المخلوقات حتى لم يكن شيئا مذكورا . والمعلوم أن المعدوم ينطوي في الموجود ويختفي في الواجب المتحتم المعبود فيرجع الماء لقراره وينثني الفرع لأصل استقراره ولهذا يعبر عنه عند القوم العارفين بالله رضي الله عنهم بالغير . وحينئذ مهما توجه العارف إلى جهة إلا وقع العيان منه على المفقود بدون أن يرى شيئا في الوجود . قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في هذا المعنى : إنّا لا نرى أحدا من الخلق ، فهل في الوجود أحد سوى الملك الحق . وإن كان ولابدّ ، فكالهباء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في الهواء ، إن فتشتهم لم تجد شيئا . قلت : يعني أنهم سراب بقيعة يحسبه الضمآن ماءً حتى إذا جاءه ليحقق ظنه لم يجده شيئا ووجد الله عِنْدَهُ . فهو غائب عن المباح فى وجود الفرض وَجَهَ وجهه للذي فطر السموات والارض رافعا همته عن زخارف المخلوقات ، جاعلا بغيته صانع الكائنات ، وفي هذا المقام قال ابن الفارض : •

قال لي حسن كل شيء تجلّى بي تحلّى قلت قصدي وراكا

وصاحب هذا المقام غائب عن جميع ما يضره أو ينفعه ، لا يسأل من الله أن يمنعه شيئا أو يدفع عنه شيئا ، إنما ينادي دائما : اللهم أغرقني في عين بحر الوحدة شهودا حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها نزولا وصعودا ، ولذلك قال إبراهيم لجبريل عليهما السلام : علمه بحالي يغنيه عن سؤالي لانه جاءه يدله عن دفع المضرة وأيضا يلزم منه احتياجه إلى الخلق ليدلّوه والحال أنه قد فنى عن الكل ، هذا هو الفناء عن الغير . وأما الفناء عن النفس فهو غيبة العارف عن رسمه وذهوله عن شكله مع اسمه ، زالت منه الاسماء والصفات ، وامتحقت من بعدهما الذات ، وغابت عنه الاشارات . إذ الفاني لا إشارة له لانطوائه في الوجود واختفائه في الشهود ، وصاحب هذا المقام لا وجود له البتة فضلا عن أن يتصور منه السؤال إذ السؤال إنما يكون من الحي ، أما الميت يستحيل منه الطلب ، قال صلّى الله عليه وسلّم « كان الله ولا شيء معه » قال الواصلون : وهو الآن على ما عليه كان أي لا نفي ولا إثبات إنما هو ظهور وتجليات واضمحلال كائنات . هذا هو فناء العارفين أهل الكمال واليقين فعليك بطلبه إن كنت من المؤمنين .

وإذا لم تر الهـــلال فسلـــم لأناس رأوه بالأبصار

وأما البقاء فهو حلة من نور الحق الموجود تَنْسَبِلُ على ظلمة الخلق المفقود ، حلة كنت سمعه وبصره ويده ورجله الخ . وحينئذ يعيش العارف عيشا رغدا إذ يكون بقاؤه بالله . فإذا صلّى فـلله ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وإذا ذكر فبالله ، وإن سار فمن الله ، وإذا توجه فإلى الله ، وإذا وصل فعند الله ، قل كلٌ من عند الله فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون أي لأنفسهم ادعاءا وإلا فقد قال تعالى والله خلقكم وما تعملون . ثم اعلم أن البقاء مقام أرفع من مقام الفناء ، فإن صاحب البقاء جامع بين ظاهر وباطن أو نقول بين شريعة وحقيقة ، ظاهره يتكلم مع الخلق وباطنه يناجي الملك الحق ، ومن هنا كان تشريف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على بقية الرُسل عليهم السّلام فمنهم من غلبت عليهم الشريعة كسيدنا موسى عليه السّلام ، ومنهم من غلبت عليه الحقيقة كسيدنا عيسى عليه السّلام ، أمّا سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم فهو برزخ بين البحرين لا يشغله الخلق عن الحق كما لا يضيع منه حق الخلق إذ قال الله تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » نسأل الله أن يجعلنا لسنيره من الوارثين حتى نشرب من حوضه المعين صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

« الحكم على الآية الكريمة »

أقول : من المعلوم أنه يجب تنزيه الرسل عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يخل بمراتبهم الشريفة ودرجاتهم المنيفة فكل ما يوهم نقصًا في مراتبهم يتحتم دفعه ، فظاهرهم معلوم كما أن باطنهم محفوظ من كل أمر مذموم ، نعم أتى في بعض الآيات ما يتوهم ظاهرهم نسبة النقص ولكنه مؤول بما يزيد في مراتبهم عليهم الصلاة والسلام ومن ذلك قوله تعالى : « وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ » الآية . إلى قوله الْعَابِدِينَ حيث نسب الضرر فيه لسيدنا ايوب ، ولربّما يتوهم أن ذلك مناقض لوصفه عليه السّلام قائلا ربما يكون الدعاء منافيا للصبر على البلية والرضى بالقضية ولأجل دفع ذلك قصدت شرح هاته الآية بقدر ما وهبنيه ربي من السفهم وإن كنت لستمن أهل البراعة ولا من فرسان اليَرَاعَة إنما تمسكي بالله هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الذي ساقني إلى هذا السبيل وسقاني من كأسه السلسبيل . قلت وعلى الله اعتمدت :

قال تعالى « وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ » فكأنما يقول كي يتسلى عما أصابه : يا محمَّد واذكر ما أصاب نبينا أيوب حينما نادى ربه قائلا إني مسني الضر أي الألم بنوعيه البدني والقلبي الغير المُخِلَّيْن بمقامه عليه السّلام إذ قالوا أصابه ألمٌ في بدنه ، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال : أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض للصلاة نقله النسفي في شرح الآية نفسها ، وأصابه أيضا نوع من الآلام القلبية من جهة فقد أهله كما حكاه غير واحد منهم النسفي في شرح الآية نفسها أيضا . وعلى هذا تكون الآية من باب إطلاق الخاص وإرادة العام ، فإن الضُر بالضم يطلق على ضُر البدن فقط والله أعلم فسأل من الله كشف ما أصابه من الضرر قائلا : وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . أي فارحمني بتخليصي مما أنا فيه . فإن قلت : كيف يتصور الإنزعاج من سيدنا أيوب حتى أَدَّاهُ ذلك إلى الدعاء بدون أن يحمل ما أصابه من فقد أهله بجميل الصبر كما هو اللائق بمقام النبوَّة ؟ قلت إن أيوب لم ينقبض من فقد أهله ، إنما وقع له ذلك من أجل ما فقده من تجليات الجمال ، ولوائح الكمال المفقود ذلك بفقد الاهل . وقد وقع مثل ذلك لسيدنا يعقوب مع سيدنا يوسف عليهما السلام ، فقد ابيضت عيناه من الجزن لما كان يشاهده في صورة يوسف حينما كان له مظهر الجمال الحق كما ذكره أستاذنا أحمد بن عليوة رحمه الله آمين ، ولأجل هذا قال تعالى في إجابة سيدنا أيوب « وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ » الآية ليحصل على ما كان عنده من مشاهدة الظهور ولم يقل الإله في الإجابة عند العطف وأزلنا ما به من ألم ، فإن ذلك لم يكن مطلوبه ولم يحصل به على مرغوبه على أن أيوب عليه السلام لم يصدر منه ذلك على سبيل الشكاية إنما هو مناجاة منه لله . قال أنس وكيف يشكو من قال في حقه : « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ » ثم اعلم : أنه ليس المراد والله أعلم [illegible] جاءت بصيغة العموم والقاعدة أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العبرة بعموم اللفظ ، ومما يدلك على أن المراد بالضر ما هو أعم ما جاء في الجواب بعد حيث قال فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر أي ألمه البدني وآتيناه أهله وهو كشف الألم القلبي حتى تعم رحمته له وينتشر لدى أيوب فضله ونعمته فيتسلى بذلك العابدون ، ويقتدي به الصابرون ، ولذلك ختم هاته الآية بقوله : « رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ » .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخـاتمـة

أقول وبالله المستعان : انه الكريم ذو الإحسان لا يخفى أن الرجال تتفاوتُ في الدرجات والأحوال والمقامات وتلك حكمة الله التي قام بها ناموس هذا الوجود ويكفينا في ذلك قوله تعالى « تِلْك الرُّسُلُ فضَّلْنا بعْضهُمْ على بعْضٍ » فكذلك يكون التفضيل في الخاصة من الأمة المحمدية كما يكون في العامة منهم . وقد تقدم لنا في المقدمة أن من مقامات الواصلين ودرجات الكاملين مقاما الفناء والبقاء وسبق بيانهما . ولما علمت من أن الفاني بكلا قسميه غائب عن المضرة والمنفعة أقول انه لا يتصور الدعاء من الإنسان مادام غائبا عن الإحساس في شهود رب الناس وكيف يصدر منه ذلك والحال أنه لا يملك لنفسه خيرا ولا ضده ؟ أعني لا يشتكي ضرا ولا يبتغي أجرا أي ساكن في جنان الرضا والتسليم مشاهدا بروز المقدورات من الحكيم العليم قابلا الكل من عند مولاه قائلا لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولذلك قال تعالى حكاية عن رسل قوم نوح وعاد وثمود وهم : نوح وهود وصالح عليهم السلام في تحمل الإذايات بدون أن يبسطوا أكف الدعوات « ولنصْبرنَ على ما آذيْتُمونا وعلى الله فلْيتوكّل الْمُؤْمِنُون » لأنهم يرونها من عين الحق فلا يتضررون بها وتعبيره في جانبهم بالإذاية على سبيل المشاكلة مجاراة لحال قومهم والله أعلم ، هذا كله في الفاني عن الغير. أما الفاني عن نفسه فلا يعقل منه لا كلام ولا إصغاء فضلا عن أن يتصور منه الدعاء لكونه غائبا عن القرب في عظيم القرب فهو تعالى منه قريب غير بعيد إذ قال : « ونحْنُ أقْربُ إليْهِ مِنْ حبْل الْوريدِ » فتحصل من هذا كله أن الفاني بقسميه يبعد الدعاء في حقه والله أعلم بغيبه ، وتقدم لنا أيضا في المقدمة أن مقام البقاء أرفع من الفناء لأنه يلزم فيه الجمع بين الحق والخلق يسمع قوله : « قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ » أي فلا شيء من دوني لكم ويتمثل أيضا قوله « ادْعُونِي أسْتجبْ لكُمْ » وكيف لا يدعوه وفي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ذلك مناجاته للمحبوب التي هي غاية المنى والمرغوب . واختيار العارفين رضي الله عنهم للبلايا لما يقع لهم فيها من الإضطرار حيث لا يكون لهم فيها مع غير الله قرار ويشتد معها توجههم وتكثر مناجاتهم إذ الإتصاف بالمصاب أدْعى إلى الرجوع لله بخلاف حالة البسط فإنها ربما تدعو العارف لاركون إلى خوارق العادات وإظهار الكرامات وما ذلك إلا ركون لغير الله حفظ الله الجميع . أما حالة القبض فإنها توجب على الإنسان الركون إلى الله والخضوع إلى من خلقه وسواه ؛ ولذلك لما تجلى الله على إبراهيم بالجلال قام مناجيا لذي العزة والكمال فقد حكى الله عنه في أبلغ الكلام « وإذْ قال إبْراهيمُ ربِّ اجْعلْ هذا البلد آمِنا واجْنُبْنِي وبنِيَّ أنْ نعْبُد الأصْنام » وقد كان يقول لجبريل عليه السلام : أما بك فلا لَمَّا قال له هل لك حاجة بي وازداد أمره إلى أن قال : علمه بحالي يغنيه عن سؤالي وذلك حينما كان متجليا عليه بالجمال المستلزم للتحدث بالمواهب وقد قال في ذلك صلّى الله عليه وسلّم « أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » .

وإلى هنا تمّ ما قصدناه وجفّ القلم بما أتاه من عند مولاه قائلا ربّنا اغفر لنا فيما قدمناه وما أخرناه فأجاب الحال في الكتاب المكنون « وإنّ لك لأجرا غيرَ ممنُون » اهـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرّسـالة الخـامسـة

بسم الله الرّحمـن الرّحيـم

من أحوج الناس إلى صحبة شيخ التربية ؟

هذا سؤال ورد بحضرة جماعة من العلماء الأجلة وكانوا كلهم من جماعة أهل السنة يحبون مشائخ السادة الصوفية ويعتبرونهم الخاصة العليا من الأمة المحمدية بعد الصحابة رضوان الله عليهم ويرون أن صحبة شيخ التربية لا بدّ منها فكان لهذا السؤال وقع عظيم بين أولئك الاعلام فأجاب كل بما ظهر له في ذلك الوقت والكل على صواب إن شاء الله ، فمنهم من قال إن أحوج الناس لصحبة شيخ التربية هو الرجل الأمي لانه في غاية الإحتياج للتعلّم ولما يزيح به أثقال جهله عن كاهل عقله حتى يسير لحضرة ربه ، ومنهم من قال إن أحوج الناس لصحبة شيخ التربية هو الرجل العالم الذي لم يعمل بعلمه فهو الرجل المغرور والذي يلزمه أن يلجأ لصحبة الرجال العاملين فيقتدي بعلمهم وبذلك يداوي ما ألمّ به من ألم التقصير والإدبار عن العمل الصالح .

وكان جواب هذا العبد ان شيخ التربية يحتاج لصحبته كل أحد من أي طبقة كان ولكن أحوج الناس لصحبته هو الرجل العالم العامل بعلمه فوقع هذا الجواب من الجماعة موقع الإستغراب والتعجب ولهم العذر في ذلك إذ من يظن أن الرجل بعدما تعلم ما يجب عليه وعمل بذلك ما استطاع يبقى محتاجا لصحبة من يرشده إلى الطريق الجادة ؟

فقلت للجماعة : يلزمنا قبل كل شيء النظر إلى الحقائق ، لا إلى ظواهر الأمور ومعشياتها ، ولنعلم أن شيخ التربية إنما يراد ويقصد لا ليتعلم منه العلوم الظاهرة كالفقه ونحوه ، ولا ليتعلم منه الأعمال أي لا يقصد لذلك فقط بل المقصد الأهم من صحبته هو مداوات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القلوب من أمراضها الباطنة كالإعجاب بالنفس والكبرياء وغير ذلك ، فالمقصود من صحبة شيخ التربية هو تنقية النفس وتطهير القلوب من أدوائها الخفية وإن إلى ربك المنتهى بعد ذلك ، وبيان ذلك أننا إذا نظرنا نظرة سطحية للمعجبين بأنفسهم حسبما يظهر للعموم مما رأينا منهم إلا صاحب الثروة الدنيوية والمال الكثير ذلك الذي يتجسم فيه الإعجاب بالنفس ويظهر منه الكبرياء على الضعفاء وذوي الإقلال غير أنه إذا دخل عليه أحد العلماء المجردين عن العمل وتجالسا على بساط المذاكرة والمحاورة وأصغينا نحن بقلوبنا إلى ما تهمس به أصوات قلبيهما سمعنا منهما حديثا كله حقائق لا نكران لشيء منها .

ذلك أن صاحب المال يقول : وإن كنت صاحب ثراء وجِدَةٍ غير أن ذلك عرض راحل ونعيم زائل وما الشرف الأثيل إلا لمثل هذا العالم الجليل ، ويلوح لنا أن أنفه الذي كان شامخا به على الاتراب صار منحنيا نحو التراب .

ونسمع حديثا من نفس ذلك العالم المتجرد يقول فيه وهو يشير لصاحب المال : ما هذا إلا رجل جاهل لا يعرف كوعه من بوعه ، أما أنا ويقابل السماء بجبهته فيكفيني شرف العلم ولربّما يزيد قوله ولا أرضاه مَسَّاحا لنعلي .

فإذا الإعجاب متجسم في ذلك العالِم المتجرد والتواضع نزل بصاحب المال إلى منتهاه .

وبينما هما كذلك في هاته الحال ، وحديث القلوب حقائق لا مناص منها إذ دخل عليهما عالِم عامِل وتقي كامل ، وبعد السلام جلس وأخذ يحاورهما ، فتجردنا نحن أيضا عن الحس وأخذنا نسمع حديث النفس ، فأصغينا إلى ذلك العالِم المتجرد وقد تبدلت لهجته ونزلت جبهته وهو يناجي نفسه : هذا هو الإمام الجليل والعالِم النبيل الذي امتنّ الله عليه بالعمل وبلوغ الأمل وهو يشير إلى صاحبه الداخل أما أنا ويشير لنفسه فماهي إلا نزغة شيطانية

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيَ ، وما علمي إلا حجة قائمة عليَ ينطبق على مِثلي قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ . فإذا ذلك الإعجاب الذي كان له مع صاحب الثراء قد انتفض من ناصِيَتِهِ ، وحل محله التواضع والتنازل والإعتراف لصاحب الفضيلة بالفضيلة ، فأصغينا بعد ذلك إلى حديث ذلك العالِم التقي والعامِل النقي وقد كانَ يجهر به فيسمعه حتى البعيد عنه وهو يقول وقد انتقل له الإعجاب : ما هذا وهو يشير لصاحبه إلا عالِم متجرد والعلم بلا عمل باطل ضرره أقرب من نفعه وما العالِم شرعا إلا من عمل بعلمه .

ثم يرفع برأسه ، ويشمخ بأنفه قائلا : أنا رجلٌ عملت بما علمت ، فجمعت فضيلة العلم والعمل ، وما هاته إلا درجة عالية ، وأحوال عزيزة غاليّة ، تجملت بها ، وقد فزت على الإخوان ، وسبقت الاقران .

فإذا به قد ارتفع إلى الثريا ، ووضع من جالسه تحت الثرى ، وإذا هو ملتحف برداءِ الكبرياءِ مُتَزرًا بالإعجاب وهما مرضان عضالان من أمراض القلوب التي تحتاج إلى طبيب ماهر يداويها حتى تصبح طاهرة زكية .

فاستحسن الجماعة هذا الجواب بعد أن كانوا منه في استعجاب واستغراب وعلموا أن الحقائق القلبية لا دافع لها .

فقال أحد أولئك الجماعة الأعلام : قد حضرني على هذا الجواب دليل وهو قصة موسى عليه السّلام فإنه عندما قال : ما على وجه الأرض من هو أعلم مني قال له تعالى « بل عبدِي خضر أعلم منك » فطلب مُوسى الخضر حتى وجده فقال له هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا إلى آخر ما حكاه القرآن من قصة موسى مع الخضر عليهما السلام .

فقال آخر من أولئك الجماعة أيضا : يؤيّد ما ذكرتمُوه ما وقع لسيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه فإنه لما أتم فتح فارس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والعراق وحج البيت العتيق شكرًا لله على ما أولاه من الفتوحات ، وكان حجه خفية من جيشه الفاتح حتى لا يختل نظامه بعد مغيبه ، فسمع الخليفة الصديق بما كان من خالد من الحج خفية بعد إتمام الفتوحات فخاف عليه الإعجاب بنفسه بسبب ما أتيح له من النصر والظفر ، فكتب له كتابا يقول له فيه : فأتمِم يُتمِم الله عليك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل وإياك أن تدليَ بعمَلٍ فإن الله عز وجلَّ له المنُّ وهو وليُّ الجزاء .

هذه جملة من كتاب بعثه الصديق إلى خالد ابن الوليد يعظه فيه ويحذره الإعجاب بالنفس الذي عاقبته الخسران ، وما ألصق الإعجاب والرياء بالعاملين ، وقل لي بارك الله فيك ما هي نسبة العالم العامل من خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فقد تفرس الخليفة الصديق ، وفراسة المؤمن بنور الله أنه ربما يدخله إعجاب بنفسه فداواه بكتابه الكريم فكان كالمرهم على الجرح .

فقلت لهم ويؤيد ذلك أيضا ما أوصى به الخليفة الصديق رضي الله عنه عمرو بن العاص عندما بعثه لأهل فلسطين في ثلاثة آلاف . فكان من جملة ما أوصاه به :

واعلم يا عمرو أن معك المُهَاجرينَ والأنصارَ من أهل بدر فأكرمهُم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نشوة الشيطان فتقول ولّاني أبو بكر لأني خيرهم وإياك وخدائع النفس .

هذا عمرو بن العاص الذي لا يجهل مقامه . وقد ظهر للصديق أن يحذره من نخوة الشيطان وخدائع النفس لأن هذه الامراض تلتصق بالعاملين أكثر ومنزلة الخلفاء الراشدين من الصحابة تشبهها منزلة التربية من المريدين ، فإن الخلافة كانت إلى النبوءة والأمور الأخروية أقرب منها إلى الملك والأمور الدنيوية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هذا ما دار في ذلك الجمع الحافل بين أولئك العلماء الاعلام ثم تفرقوا وكلهم ألسنة تلهج بالثناء على هذا الموضوع والسلام .

فكتبت ذلك الحديث تقييدا للعلم وضبطا للفوائد حتى ينتفع بها أهل الخير والصلاح بدون أن تُهمل بلا قيد فينسفها الهواء وتذروها الرياح والله تعالى ولي التوفيق والهادي لأقوم طريق . اهـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرِّسـالـة السـادسـة

بسم الله الرَّحمـٰن الرَّحيـم

أهل نسبة الله السادة الأفاضل بعرش الكلبات بعمل السواسي أخص بالذكر منهم المقدم المبرور وحامل كتاب الله سيدي مصباح الدرواز (1) وأخاه الفاضل سيدي عمر الدرواز (2) والفاضل سيدي منصور بن عمر وأخاه الأجل سيدي عمارة والفاضل سيدي الشاوس صالح والباقون منهم وارتسامهم في جناتي يغني عن رسمهم ببناني السلام عليكم ما دمتم لله ذاكرين ، ولأهل الله منتسبين ، ورحمة الله والبركة .

أما بعد : فقد تشرفنا بحضوركم في احتفال المولد النبوي ، جعلنا الله وإياكم في شفاعة صاحبه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . ولقد سرَّنا حضورُكم مع إخوانكم واعتِناؤكم بذلك الإحتفال الذي أسس على تقوى الله ، وليس وراءه مقصد إلا القيام بما يجب له صلّى الله عليه وسلّم كما جرى عليه عمل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ولكنه قد صار ذلك المنظر ومثله في هذا الزمان كعنقاء مغرب ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . وكنتم سلمتم لنا كتابا من بعض التلامذة بالجامع الاعظم عمّره الله

---

(1) ولد السيد مصباح الدرواز سنة 1909 م بعمادة منزل حشاد معتمدية شربان ولاية المهدية وتوفي بتاريخ 2 مارس 1969 . حفظ القرآن الكريم في زاوية سيدي ذويب بالمنستير ثم انتقل إلى جامع الزيتونة وتحصّل على زاد علمي لابأس به ثمّ عاد إلى بلده حيث اشتغل بتعليم القرآن وجمع بعض النّاس القرآن حفظا على يديه . وقد قضّى مدة طويلة في الطريقة المدنية وله سير محكم جعله من الصالحين .

(2) ولد السيد عمر الدرواز سنة 1903 م بنفس مسقط رأس أخيه المذكور السيد مصباح الدرواز . حفظ القرآن الكريم فقط وبقي يعمل في ميدان الفلاحة . وقد قضّى مدة طويلة في الطريقة المدنية إلى أن انتقل إلى جوار ربّه سنة 1975م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يسألون فيه عن مسائل تجري على ألسنة الفقراء في الله ببعض أناشيدهم فاستنشدوا منها عبارات لم تبلغها عقولهم ولم تسعها حوصلتهم أرادوا فتح مغلقها وحل أقفالها . وها نحن نكتب لكم الجواب عن ذلك حسبما أمكن عَسَى أن يكون شفاءً لما في الصدور ، وذلك ينحصر في ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى :

ما معنى إنشادكم :

هيـــــاوْ يا فقـــــرا نزوروا إمـــام الـــحضرة
يوصلنـــــا بنظـــــره لحضرة رسول الله ؟

الجواب عن ذلك : أن هاته القصيدة الموشحة من نظم المرحوم العارف بالله سيدي إبراهيم بن الصغيِّر أحد إخواننا بحاضرة تونس وله شعر بديع من النظم الموزون كما أنه يميل إلى النظم الملحون والموشحات الرائقة التي تشبه موشحات الششتري رضي الله عنه ، وقد نسج على ذلك المنوال كثير من شعراء الأندلس رحمهم الله .

ومعنى هذا البيت أنه يستنهض إخوانه الذاكرين لزيارة شيخهم الذي يعتقد فيه أنه إمام الحضرة الصوفية ليوصل إخوانه إلى الحضرة المحمدية ، وليس المراد من هاته النظرة أنها نظرة بصرية بل هي نظرة قلبية وعطفة روحانية ينظرها الشيخ لمريده الصادق فيحصل له فتح مبين حتى يكون من المقربين إلى الله . وتتسبَّبُ تلك النظرة من صفاء قلب المريد وانقياده لاستاذه بنية وإخلاص ضمير فيفيض عليه مما منحه الله فلربما أوصله الشيخ إلى الحضرة المحمدية ، ولربما أوصله إلى الحضرة الالهية فيكون من عباد الله المقربين ، وتلك هي الغاية المقصودة والضالة المنشودة التي يصحب المريد شيخه لأجلها وأشار ابن عاشر لها بقوله : يصحب شيخا إلى قوله يوصل العبد إلى مولاه . وأما المريد الذي لم تحصل له هاته النظرة من شيخه فإنه يبقى في الحجاب لم يفتح له الباب ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولم يصل لحضرة الإقتراب ، حفظنا الله وإياكم . واعلموا أن التلامذة كلهم من أي فريق كانوا وفي أي فن كانوا إذا لم تحصل لهم من شيوخهم نظرة عطف وحنان لا ينتفعون بعلمهم بل يرتدون على أدبارهم خائبين . وقد رأينا كثيرا ممن رضي عنهم مشائخهم فازوا فوزا عظيما . وكثيرا ممن غضبوا عنهم فوَلَّوا على أدبارهم نفورا . هذا معنى النظرة يها الإخوان واختاروا لانفسكم ما شئتم ولكم الخيرة فإذا فوضتم لنا الأمر في الإختيار لكم فإني أنشدكم قول الإمام الجيلي رضي الله عنه :

وإن ساعد المقدور . وساقك القضا
إلى شيخ حي في الحقيقة بارع
فكن عنده كميت عند مغسل
يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وها أنا أذكر لكم مثالا من طاعة التلامذة وانقيادهم لأستاذهم ، واستجلاب نظرة العطف والحنان من قلوب الأساتذة ، فأقول : ذكر صاحب البستان أن العلامة المحقق حافظ مذهب مالك الإمام خليل صاحب المختصر ذهب يوما إلى دار أستاذه المبرور يدي عبد الله المنوفي فوجد جماعة من الطلبة واقفين على حُفرة بيت الخلاء . فسألهم عن شيخه أين ذهب ؟ قالوا : ذهب يستأجر رجلا لتنظيف هاته الحفرة ، فقال الشيخ خليل أيكون ذلك وأنا موجود ؟ ثم شمَّر على ثيابه ونزل إلى تلك الحفرة ونظفها فأتى شيخه وهو على تلك الحالة فسأله فأجابه : لا يمكن أن تأتي بخادم وأنا موجود ، فدعا له بخير ، وجميع العلماء يعلمون ما أفاضه الله على سيدي خليل من العلم حتى انتفع بتأليفه من لا يحصون كثرة من مشارق الأرض ومغاربها ، وما ذلك إلا بسبب تلك النظرة الصالحة من شيخه سيدي عبد الله المنوفي رضي الله عنهم أجمعين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

المسألة الثانية

ما هو معنى قوله :

هو الإمامُ ، هو غايــة المـــرام
قطب الانام يا ربّ ارزقنا رضاه ؟

الجواب : وهذا البيت معناه واضح وذلك أن هذا الشاعر وصف شيخه بأنه إمام في علم التصوف يقصده المريدون للوصول إلى الله وأنه قطب يدور حوله المريدون يستفيدون منه . وذلك مأخوذ من قطب الرحى الذي تدور حوله وهي عبارة صوفية يقصدون بها التعظيم كقول بعض الكتاب : العمدة الملاذ وهكذا .

المسألة الثالثة :

ساداتنا الفقراء أهل الطريقة المدنية يعتقدون أن شيخهم من أولياء الله الصالحين ، هل هذا صحيح ؟ الجواب عن هذا أن الله تعالى يقول : فلا تزكوا أنفسكم ، وأن الولاية فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، إنما نقول : إن أولياء الله الذين وصفهم القرآن بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون فالأمان خاص لكل مؤمن والحمد لله على اختلاف درجات المؤمنين والإيمان يزيد وينقص على القول الراجح ، إنما على المؤمن أن يتقي الله ما استطاع ويسعى في العمل الصالح مع الفرائض التي هي أحب ما يتقرب به إلى الله ، ثم مازال المؤمن يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه فيكون له سمعاً وبصرا ويدا ورجلا فيكون من عباد الله المقربين وأوليائه الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فعليكم بارك الله فيكم بتقوى الله ما استطعتم وهذا ما ظهر لي كتبته لكم عسى أن ينفعني الله وإياكم به فيكون شفاءً لما في الصدور وسببا في القرب والحضور ، والسلام من كاتبه العبد الضعيف محمّد المدني العلاوي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرّســـالــة السابـعـة

بسـم الله الرَّحمــن الرَّحيـم

السادة الأبرار إخواننا في طريق الله عزَّ وجلَّ بعرش سيدي الناصر السلام عليكم وعلى جميع من هو منكم وإليكم ورحمة الله والبركة . أما بعد فقد بلغني كتاب مرقوم بقلم المنتسب الرباني الاكتب سيدي إبراهيم بن سعيد (1) فبلغوه منا أتم السلا ، أنبأني كتابه عن حسن عافيتكم البدنية وسلامتكم القلبية ، ولقد سرّني ذلك كثيرا فحمدت الله تعالى لكم على تمام نعمته الظاهرة والباطنة ، وذلك لما عهدناه فيكم من حسن السيرة وصفاء السريرة ورسوخ القدم فيما يرضي الله ورسوله بدون التفات لقول قائل أو عذل عاذل إذ السائر نحو حضرة الله لا يلوي عنان عزيمته الواردات الهبائية ، والخيالات العنكبوتية ، أو نقول الأسئلة الجدلية ، مثل سؤال من سألكم : هل كان النبيء صلّى الله عليه وسلّم يعطي الطريق ؟ وهذا سؤال ينشأ عن جهل بالطريق وتصوُّرها على خلاف ما هي عليه إذ أن غالب الناس لا يتصورون الطريق إلا كونها عبارة عن جماعة من الناس يجتمعون على أغراض مختلفة ، فتارة يجتمعون على أكل الطعام وامتلاء بطونهم وهؤلاء يصدق في حقهم قولهم : من جعل همّته في بطنه فقيمته عند الله ما يخرج منها ، وتارة يجتمعون على الرَّقص وأكل السُّموم وطعن أبدانهم بالخناجر

(1) ولد السيد ابراهيم بن سعيد بن الحاج حمودة النافلة في 5 جانفي سنة 1905 م بزمالة السّواسي ولاية المهدية . زاول تعلّمه بالمدارس النّظامية بزمالة السّواسي وتحصّل على الشهادة الابتدائية بالفرنسية ثمّ التحق بجامع الزيتونة مدة وهو يحسن اللّغتين العربية والفرنسية باشر عمله كمستكتب بإدارة العمل بزمالة السّواسي سنة 1920 وانتقل لنفس خطته بسليانة ثم فريانة ثم سيدي بوزيد ثمّ شربان ومنها رجع إلى زمالة السواسي حتّى أحيل على التقاعد سنة 1959 .
انتظم بسلك الطريقة المدنية سنة 1917 م وهو الان يتمتع بصحة جيدة في بدنه وعافية في روحه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والسيوف وبطونهم ولعق المناجل النارية وهؤلاء أسوأ حال من الأولين وهم داخلون تحت النهي بقوله تعالى : « وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » . ولا شك أن من يتصوّرُ أن الطريق عبارة عن هاته الأفعال له العذر إن أنكرها ونحن ممن يشاركه في ذلك . وأما من يفهم حقيقة الطريق ويتصوّرها على ما هي عليه من كونها عبارة عن أقوال النبيء صلّى الله عليه وسلّم وأفعاله وأحواله وإرشاد الناس إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم والتخلي عن الرذائل المنهي عنها شرعا والتحلي بالفضائل المأمور بها شرعا والتزين بمكارم الأخلاق كالزهد والورع والتواضع والتفرغ للعبادة لِتصفِيةِ القلب مما سوى الله تعالى ومشاهدة نور الله وجماله المتجلى به ، وهذه هي الغاية المقصودة والضالة المنشودة ، فمن عرف الطريق على هذا المنوال فلا يقدر أن ينكرها ولو بشفتيه إلا إذا كان مخذولا حفظنا الله وإياكم ساعيا في هدم قواعد الدين فتراه ينكر على الزاوية ، ومقصده الترقي إلى غلق المساجد ، وينكر الإجتماع على ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه صلّى الله عليه وسلّم ، ونيته الإنكار على الصلاة أيضا ، وقد وُجدت في هاته السنين الأخيرة شرذمة على هذا النمط غرتهم الحياة الدنيا ، وغرّهم بالله الغرور فأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم ويسعون في الأرض فسادا ، ويريدون أن تضلوا السبيل ، وهذا سيلهم العرم ولكنه لا يحمل إلا غثاء ، فإن الله متم نوره ولو كره المبطلون ، وقد سرى داؤهم إلى طائفة عظيمة مِمَّنْ ينتسب إلى العلم فتراهم يرتشفون من منهل الأولين ولكنهم سقوا ماء حميما فقطّع أمعاءهم وقَطَعَهم عن الإنتفاع بنوافل الخير ، يقومون منكرين على الذاكرين ما يفعلونه من الإجتماع على كلمة الإخلاص المأمور بالإكثار من ذكرها ، وينكرون الاهتزاز والاستهتار بالسَماع والذكر المحرّك للأحوال السنية والمشرف للمقامات الربانية كقول أبي مدين التلمساني رضي الله عنه :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققتـــه عدم على التفصيل والإجمال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقد تكلم على هذه النازلة العلماء العاملون من السلف والخلف وكلهم أجازوها أو ندبوها ومنهم من أفردها بالتأليف كأخي حجة الإسلام الشهاب أحمد وكتابه مطبوع سماه الإلماع في تكفير من يحرّم السَّماع ، وحافظ الأمة السيوطي ، وأبي المواهب التونسي ، والشيخ الماكودي له كتاب سماه الإرشاد والتبيان في ردّ ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان وغير هؤلاء رضي الله عنهم ، فليطالع مؤلفاتهم من أراد الوقوف عليها . إذ فيها شفاء للصدور ، وما أنكر العلماء إلا الإهتزار الذي يخالطه تخنّث وتكسّر وتدلّل وتبختر ، وهو من أفعال الفساق من الذكور والإناث ، والجميع لا مروءة لهم ولا خلاق ، وكذلك لم ينكروا من السماع إلا ما اشتمل على ذكر القدود والنهود والعيون والخدود ، ومن المعلوم أن كليهما يحرك الشهوات النفسانية ، وإننا ننكر هذين النوعين تبعا لمصابيح الشريعة الإسلامية المطهّرة رضي الله عنهم ، ولا ننكر ما يمرّ به القوم ويزينون به قصائدهم وموشحاتهم من التغزلات كقول سلطان العاشقين شرف الدين ابن الفارض رضي الله عنه كما قال :

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

ومثل ذلك وارد في كلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين من ذلك قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه حيث قال :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبـــول

ولا يخفى ما فيها من التغزل ، وقد أنشدها في حضرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم فعفا عنه وأجازه ببردة وما ذلك إلا لاستجلاب القلوب وتوجيهها نحو المتكلم ليشتد إصغاؤها لما يُلقى إليها من الحِكم والمعارف وما يعود عليها بالصلاح . وقد يسأل البعض عن توظيف عدد محصور يذكره الإنسان بمواظبة فنقول : ما وقع ذلك من علماء القوم إلا باستنادهم إلى أدلة قطعية ، فقد جاء عن صدر الشريعة صلّى الله عليه وسلّم الإذن في ذكر عدد محصور والترغيب في المواظبة عليه ، من ذلك ما رواه مالك رضي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الله عنه في موطاه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرّة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك».

واعلم أن طريق التصوف لم يزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية ولم يتميز الصوفي عن غيره إلا في القرن الثاني بعد الهجرة عندما فشى الإقبال على الدنيا وجهر الناس بمخالطتها ، فاختص حينئذ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة كما ذكره العلامة ابن خلدون في تاريخه ، وقد أطال الكلام على الطريق وأنكر منها ما أحدثه المبتدعة الذين غرّهم الجهل وعدم العلم بسماحة الطريق المستقيم الذي كان يرشد إليه سيد الوجود صلّى الله عليه وسلم ، فأبعدهم الجهل عن الطريق كبعد الثريا عن ضعيف البصر كما أبعد الجهل عن الطريق أيضا هاته الطائفة الحديثة وأنزلهم إلى الحضيض الأسفل ، فارتفع الطريق عنهم ارتفاع الشمس عن الخفاش ، فأنكروا نوره لانطماس بصائرهم ، وضعف إيمانهم ، حفظ الله الجميع ، فجهلهم حاد بهم عن طريق الإرشاد والآخرون تعمقهم أدبرهُمْ عما ينفعهم يوم التناد ، والطريق المستقيم لم يزل لبنا خالصا سائغا للشاربين لا يغيره المحدثون ولا يطمس أنواره المنكرون وأهله السالكون منهجه لا يزالون كهفا رفيعا ، وحصنا منيعا يرشدون كل سائر ويوعظون كل منكر جائر ولكن الله يهدي من يشاء من عباده ولو شاء ربّك لهدى الناس جميعا ولربّما يسأل سائل عن سبب كثرة اختلاف الناس على القومفنقول : إن الاختلاف من سجايا البشر فلا يكادون يجتمعون على اعتقاد أو مذهب رجل واحد ولو ملك زمام العلوم وركب ذروتها . ولا يخفى ما جرى لأصل الوجود صلّى الله عليه وسلّم ، ثم للخلفاء الراشدين من بعده رضي الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عنهم لا سيما الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد قتل والمصحف بين يديه والخليفة الرابع سيدنا علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه فقد قتل وهو خارج للصلاة . وقد سأل إمامنا مالك بن أنس أحد تلامذته ما يقول الناس فيَّ فقال له : الناس مختلفون بين محب مادح ومبغض قادح ، فقال الإمام رضي الله عنه : لا يزال الرجل بخير ما اختلفت عليه الألسن . ولتختم لكم هذه الرّسالة بمسألة منقولة عن ابن القيم في مدارج السالكين ما نصه بحروفه في اجتماع أناس على ذكر الله وإنشادهم بأشعار إلى غير ذلك فأقول وعلى الله القبول ما نصه بحروفه حرفا بحرف : وإنما السماع الذي اختلف فيه مشائخ القوم رضي الله عنهم اجتماع أناسٍ في مكان خال من الأغيار ويتلون شيئًا من القرآن ثم يقوم بينهم قوّالٌ فينشدهم شيئًا من الأشعار المزهِّدة في الدنيا المرغبة في لقاء الله ومحبَّته وخوفه ورجائه والدار الآخرة وينبّههم على بعض الأحوال من غدرة أو غفلة أو بعد أو انقطاع أو تأسف على فائت أو تدارُك لِفارطٍ أو وفاء بعهد أو تصديق بوعد أو ذكر قلق وشوق أو خوف فرقة وصدّ وما جرى على هذا المجرى ، فهذا السماع الذي اختلف فيه لا سماع المكاء والتصدية والمعازف والخماريات وعشق الصورِ من الرجال والنساء والمردان والنسوان وذكر محاسنها ووصالها وهجرانها ، فهذه هي الأولى للعقول في التقاضي بتحريمها والشرع يأبى إباحتها وأنه ليس على الأمة أضر منه ولا أفسد لعقولهم وقلوبهم وأديانهم وأموالهم وأولادهم وحريمهم والله أعلم . كتبه العبد الضعيف محمد المدني العلاوي في يوم الثلاثاء سنة 1350 هجرية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرّســـالــة الثامنــة

بسـم الله الرّحمــن الرّحيـم

إلى إخواننا في الله ورسوله بمحاضرة بنزرت السلام عليكم وعلى من يلوذ بكم من أهل المحبة الصادقة ورحمة الله والبركة. أما بعد ، قد تذاركنا مع حضراتكم فيما يلزم المريد السائر في طريق الوصول إلى الله من الإعراض عن الدنيا وزخارفها أو نقول عن هاته الكائنات ومظاهرها . وذكر لنا الشيخ سيدي المختار الدلّالي ما كُتِبَ بمجلة الإسلام ، وما أجاب به العالم العامل والصوفي الكامل سيدي عبد الجواد الدوسي في هذا الموضوع وكنت أرى في ذلك الوقت أن القلوب تتوجه لما يظهر لهذا العبد الضعيف فيجيب به . ولمّا لم يسمح الحال بالجواب إذ ذاك ورد عليَّ الآن أن أكتب لكم ما ألهمنيه الله في ذلك فأقول :

إن المريد السالك يلزمه أن يسير على حسب نظر شيخه وما يشير به عليه ، وذلك النظر يختلف باختلاف مشائخ التربية وما يؤديه اجتهاد كل واحدٍ منهم في كيفية قطع الطريق للمريد وزجّهِ في حضرة المُراد ، إذ أن المقصود وهو الوصول لحضرة القدس ، وإن كان واحدا وهو غاية ما يطلبه المريد في سيره إلا أن كيفية الوصول لهاته الغاية تختلف باختلاف أحوال المريدين السائرين ولا يكون ذلك السير على كيفية واحدة في جميع أفراد السائرين غير أن الذي يلزم المريد بصفة عامة أولا هو الإعراض عن زخارف الدنيا ولذائذها وجميع حطامها ، بمعنى يلزم المريد أن ينزع حب الدنيا من قلبه بطريق الكسب الذي وهبه الله إياه ، وإلا فجمع الحطام والأموال قسمة أزلية لا مدخل لأحد فيها ، أخبر عنه الكلام القديم إذ قال : « نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحياةِ الدُّنْيا » ، ولذلك كان كثير من الأكابر أصحاب ثراء وأموال ، بل كثير من الأصحاب رضوان الله عن جميعهم أصحاب أرزاق طائلة كسيدنا عبد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الرّحمان بن عوف رضي الله عنه فقد ورثت الواحدة من أزواجه الأربع ما يُقدّر بدراهمنا الآن بثلاثمائة ألف دينار وذلك ربع ثمن التركة التي خلفها رضي الله عنه ، ولكنهم رضي الله عنهم كانوا معرضين عنها لم تملك من قلوبهم مثقال حبة من خردل ، بل كانت لهم مطيةً بها يصلون إلى الآخرة إذ يصرفونها فيما يحبه الله ورسوله ، ونعمت الدنيا مطية المؤمن بها يصل إلى الآخرة وهنا نقول : إن المخصوص بالمدح إنما هي الدنيا التي هي مطية المؤمن لا مطلق الدنيا فإنها لعب ولهو . وهاته الصفة التي هي الإعراض عن محبة الدنيا مطلوب بها كل مؤمن لا يختص بها المريدون السالكون طريق الوصول ، إنما يلزم أن تتحقق فيهم أكثر من غيرهم ، وأن الإعراض عن الأَعْرَاض مطية الإعراض عن الذوات ، وهو الأمر الثاني الذي يُطلبُ به المريد ، فيطلب أولا بالإعراض عن محبة الدنيا وزخارفها ، ويطلب ثانيا بالإعراض عن الأكوان ومظاهرها من عرشها إلى فرشها بحيث يطويها طي السجل للكتاب فيجمّع كل ما سوى الله من معنويات ومحسوسات ويخرج منها كما يخرج الطائر من سجنه ، والدنيا سجن المؤمن ، فيلزم السعي في الخروج من السجن حتى يصل إلى الوجود المطلق الذي لا يتقيد بزمان ولا مكان . وذلك كله تحت إشارة العارف بالمسالك وقد قال الغوث أبو مدين التلمساني في هذا المقام :

الله قل وذر الوجود ومـــا حوى
إن كنت مرتـــادا بلـــوغ كمـــال

ولا تفهم من هذا أن المريد يخرج عن الكائنات خروجا حِسّيًا ، فإن ذلك لم يقع إلا لسيد الوجود صلى الله عليه وسلّم ليلة الإسراء على الراجح من أنه أسري بجسده ، وإنما ينسلخ المريد عن هاته الكائنات انسلاخا معنويا بحيث يُشَخِّصُ هذا الوجود كله كَقُبَّةٍ أو تقول ككُرة أو تقول كذرة يتركها ثم يجول بروحه في الوجود المطلق أو تقول في بحار الأحدية التي تقتضي محْو الغِيْرِيَّةِ مستروحا ذلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من قوله « قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ » كل ذلك والمريد يذكر اسم الله الأعظم « الله » كما ذهب إليه الجمهور عملا بقوله « وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » حتى يغيب عن الكائنات ويحضر مع المكوِّن أو تقول يفنى عن الغيريَّة ويبقى مع الأحدية فيراه وجودًا واحدا لا اثْنينِيَّةَ فيه ، وهو المعبَّر عنه في لغة الصوفية بالفنَاء عن الخلق والبقاء بالحق ، ويعبرون عنه بالجمع والفرق ، وبالسكر والصحو ، وكل ذلك اصطلاح لا مشاحة فيه ، ولكل قوم لغة خاصة بهم لا يفهمها إلا من مارسها ، فإذا سار المريد على هذا المنوال ودام على هذا الحال امتحق من نظره الخيال وثبت فيه وجود الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا معه أحد ولن يكون معه أحد ، والمريد في هذا المقام تطوى عباراته وتمحى إشاراته لأن التعبير يقتضي وجود الغير والإشارة تقتضي مشيرا ومشارًا إليه وماهو إلا نظر دقيق وصمت عميق . وهذا كله عروج روحاني وإسراء قلبي وجداني ليس من الاعراض الحسِّية في شيء . وهنا يلزم أن أقف زمنا طويلا صامتا ماسكا عنان القلم لا أقول إلا اللهمَّ زدني فيك تحيرا حتى يتيَسَّرَ لي الرجوعُ بالكلام إلى الرجوع بالحال والمقام ، فأقول : من هذا المقام يولد المريد ولادة ثانية أو نقول يحيى حياة طيبة فيرجع لمخالطة الخلق بعد الإستغراق الكلّي في حضرة الحق ، وفي هذا الرجوع يصرح المريد بما شاهده من الأنْوار وتجلى عليه من الأسرار ، وما هي إلا لغة حالية وألسنة القوم أعجمية فيقول : سبحاني ما أعظم شاني وما أشبه ذلك من العبارات التي تشابهت على قوم تشابهت قلوبهم فأنكروها حيث بعدت عن عقولهم وأفكارهم وما هي في الحقيقة إلا مستمدة من حقيقة قوله صلّى الله عليه وسلّم « لِي وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُ رَبِّي » وأمثالها من الحقائق المحمدية ، أو نقول من الجواهر التوحيدية ، يرجع المريد للنظر الخاص في هاته المظاهر الخلقية وما بينها وبين المتجلي بها من علاقة التأثير ، أو نقول من تجليات المؤثر الكبير في مظاهر هذا الكون الصغير حيث انطوى العالَمُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الأكبرُ في كلِّ ذَرَّةٍ من ذرات العالم الأصغر ، كل ذلك امتثالا لقوله : «قُل انْظُرُوا ماذا فِي السَّمواتِ والأَرْض » قال ابن عطاء الله « فتح لك باب الأفهام ولم يقل انظروا السموات والأرض لكي لا يَدُلَّكَ على وجود الأجرام ، هذا هو النظر الخاص الذي يرجع به المريد للنظر إلى الخلق ومخاطبته معهم وسماعه منهم حتى يكون ظاهرُه مع الخلق وباطنُه مع الحق ، وهو جمع بين ضِدَّيْن ووقوفٌ بين بحرين الحدوث والقدم ، لا يرى إلا الله وإن تعددت مظاهر ما سواه ، وهذا هو الإنسان الكامل الذي يورثه الله ما يورثه من المقام المحمَدي فيعطي لكل ذي حقّ حقه . وأمَّا أحوالُه في نفسه وأعمالُه في ذاته فهي العبوديةُ في ظاهره فتراه متزينا بالتكاليف الشرعية والحريةُ في باطنه فتراه غائبا عن الغيرية حاضرا مع الحقيقة الأحدية تاليا « إيَّاك نَعْبُدُ وإيَّاك نَسْتَعِينُ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّيْنَ » هذا ما ورد عليَّ كتبته لكم باختصار ليكون كأنموذج يستنشق منه المريد عبيق التصوف ومسك هوادى التعرف . أما شرحه وتفصيله فيلزمه صفحاتٌ وأوراق ، وقلوبٌ ذاتُ إشراق ، وأرواحٌ ذاتُ استغراق ، وأحوالٌ تحيط بالسبع الطباق . ومن تجلى الله عليه فكان له سمعا وبصرا ويدا ورجلا دعا فاستجيب له وسأل فأُعْطِيَ ، وإنَّا نسأله أن يُمِدَّنا وإياكم بروح منه وتوفيق به وفضل ومنن وختام حسن بحُرمةِ خاتم المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الـرسـالـة التّاسـعـة

بسم الله الرّحمـن الرّحيـم

إخواننا في الله ورسوله السادة الأفاضل بحاضرة صفاقس أيدكم الله ، وحفظ منا ومنكم الظاهر والباطن ، والسّلام عليكم ورحمة الله والبركة . أما بعد ، فقد تشرفت برسالة من قلم أخيكم سيدي الهادي دريرة (1) فحمدت الله تعالى على حسن جدّكم واجتهادكم ومحبتكم وارتباطِ قلوبكم على محبة بعضكم أوّلا ثم على محبة الله ورسوله ثانيا ، وهكذا شأن أهل الله وسيرتهم التى عرفناها وقرأناها ، وأنا أزيدكم ونفسي نصيحة ما دمت فى هاته الحياة وما وجدت إلى ذلك سبيلا والدين النصيحة ، وأعلى نصيحة وأغلاها فى طريق القوم أو نقول في الإسلام هي خفض الجناح للإخوان أهل الطريق أو نقول للمؤمنين بحيث لا يرى المنتسب أن له حقا على إخوانه كيفما كان لقبه في الطريق شيخا أو مقدما أو شاوشا أو فقيرا ، فكلهم كاسنان المشط . إنما على الفقير أو نقول على المنتسب أن يقوم بواجب خدمة أخوانه بدون أن يراعي هلْ قاموا بواجبه أم لا ، واعتبروا قوله تعالى لنبيه عليه الصّلاة والسّلام : « واخفِضْ جناحك لِمن اتّبعك مِن الْمُؤْمِنِين وقُلْ عسى أنْ يهْدِيَنِي ربّي لِأقْرب مِنْ هذا رشدا » فقد أمره أولا بخفض الجناح لتابعيه فبقضى حقهم ويؤدي مالهم عليه

---

(1) ولد السيد الهادي دريرة بن على دريرة بمدينة صفاقس بالجنان الكائن بطريق تونس كلم عدد 5 زنقة الشيخ فى 18 أكتوبر سنة 1916 . وهو من خريجي الفرع الزيتوني بصفاقس حيث زاول تعلمه به ما يقرب من أربع سنوات وتمسك بالطريقة المدنية خلال سنة 1940 م .

وقد امتاز السيد الهادي دريرة برقة الطبع ولين الجانب وحسن المعاشرة كما قام بواجبه من التضحية في طريق الله عزّ وجلّ . فكان محل تجارته مركزا للوافدين من أهل النسبة ومحل سكناه راحة لهم إلى أن ختمت أنفاسه والتحق بالرفيق الأعلى مساء يوم السبت 5 أفريل 1980 أسكنه الله فراديس الجنان وألحقنا به على الإيمان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حتى سمّى نفسه خادما صلّى الله عليه وسلّم فقال : « سيد القوم خادمهم » قالها وهو يخدمهم بالفعل ، ثم إن الله أمره أن يترجى الهداية لما هو أقرب من مرتبة القيام بالواجب وخفض الجناح فافهما واعتبرا بارك الله فيكم ! وإياكم والدعاوي فإنها تذهب ببهجة المنتسب ، ترمى به فى مهاوي الغرر ، فلا يقول المنتسب أنا وأنا فإنها أمراض قاتلة وقد قالوا : عاش من عرف قدره وجلس دونه ، فإذا جلس مع قدره أو فوقه فقد هلك حفظنا الله وإياكم . وإني أكتب لكم هاته الجملة الذهبية التى كتبها لي أستاذي رضي الله عنه في بعض الرسائل وهي : وقم بحقوق إخوانك ما أمكنك ولا تتوقف على عدم قيامهم بحقك لئلا يطرأ عليك ما يقضي على عزمك وأنت ترى ما أنا عليه مع إخوانك فى مستغانم سامحهم الله ، وكلما طرأ عليّ عدم قيامهم بحقى طرأ عليّ عدم قيامى بحق أستاذي فضلا عن حقوق الله ، فنقول ولعله كان ذلك جزاءا وفاقا وما ربك بظلام للعبيد : هاته جملة من حِكَمِ مولانا الإمام كتبتها لكم لتكون إن شاء الله درءا نافعا ومرهما ناجعا والله ولي التوفيق وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيبُ . بلّغوا أتمّ سلامي إلى كل فرد فرد من سادتنا أهل النسبة كما يسلم عليكم جميع أخوانكم بالزاوية والسلام من كاتبه العبد الضعيف محمّد المدني العلاوي وكتب يوم الاربعاء عام 1368 هـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرّســـالـة العـاشرة

بسم الله الرّحمــن الرّحيـم

إخواننا في الله ورسوله بمحاضرة صفاقس حفظكم الباري من كل طارق وطارى ، والسلام عليكم وعلى كل من يجالسكم بقلب سليم وسير مستقيم ورحمة الله والبركة . أما بعد : فقد بلغنا بمزيد الأسف خبرُ انتقال أخيكم في الله سيدي علي كمون (1) إلى رحمة الله ونزوله بالدار الباقية ، جعله الله من عباده المقبولين بحرمة سيد الأولين والآخرين . وقد ألَّمَنَا فراقُه شديد الألم . لولا علمُنَا بأن الآخرة هي دار القرار ، وأن الموت مكتوب على كل نفس ، وكل نفسٍ ذائقة الموت . وإني أرفع لكم أجمل التعزية ولجميع أهـائله الكرام ، رزقكم الله عنه جميل الصبر وعظيم الأجر ، وعليكم بارك الله فيكم أن تجعلوا موته واعظا زاجرًا يزجُر النفوسَ الشيطانية عما توسوس به من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس فيقلب المحبة بغضا ، والطاعة معصية ، والذكر غفلة ، والإغضاء عن المساوي زلّة أقدام لتتبع العورات ، والوئام فرقة ، حفظنا الله من كيد الشيطان الذي يقعد في الصراط المستقيم ، ويأتي لعباده من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم والعياذ بالله تعالى . اللهم إنك تعلم أني أحب بقلب مخلص كُلّ منتسب ، وأنا أعلم أنك تغار على جميع أهل الله الذاكرين ولو كانوا كاذبين ، واللهم إني أبرأ إليك من كل ما يوجب فتنة لقلوب إخواني أهل نسبتك ، ويفرق بينهم كما أبرأ إليك من كل عين تنظر نظرة إعوجاج لإخوانها في

---

(1) ولد السيد علي بن الحاج محمد كمّون سنة 1880 م بطريق العين بصفاقس . زاول تعلّمه للقرآن الكريم في الكتّاب وحفظ الربع الأخير منه وعمل في تجارة العطرية بصدق واخلاص وأمانة لمدّة 50 سنة .

انتظم بسلك الطريقة المدنية سنة 1931 م . انتقل إلى رحمة الله سنة 1951 م بمنزل سيدي الهادي دريرة وذلك اثر نوبة قلبية تغمده الله برحمته الواسعة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الله ، فإن كان الشيطان يريد أن يغويكم فإن كيد الشيطان كان ضعيفا . فاستعينوا بالله ربكم هو مولاكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وسلموا منا على كل فرد فرد من أهل التسليم والإمتثال كما يسلم عليكم جميع إخوانكم بالزاوية . والسلام من كاتبه العبد الضعيف محمّد المدني العلاوي في يوم الاربعاء .

This file was downloaded from QuranicThought.com